

العدد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
سنتها عشرة أعداد

صاحب الإصدار

رئيس التحرير

شعبه

الإدارة :

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

السنة الثانية

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

ديسمبر سنة ١٩٥٢

ربيع الثاني سنة ١٣٧٢

## هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) .

إن وعد الله حق وصدق ، وقد أكد تبارك وتعالى لينصرن من ينصره ، وأشار إلى أن قوته وعزته كفييلة بهذا النصر ، ثم بين كيف يكون نصر الناس له سبحانه وتعالى ؛ فإن نصر الله لا يعطى مجاناً ، ولا يكتسب بهين من القول أو الفعل ، بل إنه لا يتأتى إلا بقائمة طويلة من الأعمال : يبذل المرء فيها طاقته ويخلص فيها النية له تعالى . فمن أبطأ عليه نصر الله تعالى أو تخلف فلا يقولن : إن الله وعدني ؛ بل يجب عليه أن يفتش في نفسه ليتبين ما إذا كان قد نصر الله حقاً أم لم ينصره .

العدد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
٦٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي  
سنتها عشرة أعداد

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

عبد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

ديسمبر سنة ١٩٥٢

ربيع الثاني سنة ١٣٧٢

## هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) .

إن وعد الله حق وصدق ، وقد أكد تبارك وتعالى لينصرن من ينصره ، وأشار إلى أن قوته وعزته كفيلة بهذا النصر ، ثم بين كيف يكون نصر الناس له سبحانه وتعالى ؛ فإن نصر الله لا يعطى مجانياً ، ولا يكتسب بهين من القول أو الفعل ، بل إنه لا يتأتى إلا بقائمة طويلة من الأعمال : ببذل المراء فيها طاقته ويخلص فيها النية له تعالى . فمن أبطأ عليه نصر الله تعالى أو تخلف فلا يقولن : إن الله وعدني ؛ بل يجب عليه أن يفتش في نفسه ليتبين ما إذا كان قد نصر الله حقاً أم لم ينصره .

إن الله قد وضع شروطاً لصومه وجعل أولها : إقامة الصلاة ؛ وهي العبادة الروحية التي تصل المرء بربه وتقربه منه . أما الصلاة التي يؤديها الإنسان قائماً قاعداً راکعاً ساجداً دون أن ترقى قلبه ، ويشعر فيها بأنه اقترَب من الله تعالى ؛ فهي صلاة آلية لا خير فيها ، ولا تعد مما يتحقق به النصر . . . . . وكأنني أشعر وأنا أكتب هذا الكلام أن الفارسي سوف يحسب أن كاتبه قد بلغ الذروة من الحرص على الصلاة المقصودة فأقول له : إنني أحاول أن أفعل فأفشل في قليل من الأحيان ، وأسأل الله المغفرة عن التقصير في كثير منها . ولكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ؛ فعلينا أن نتجه إلى الله العلي الكبير ، ونسأله التوفيق ، وربما وصلنا يوماً ما . . .

ثم إيتاء الزكاة : وإذا كانت الصلاة يعترها ما يخرجها عن أن تكون مؤثرة في النفس مقربة من الله ، فإن الزكاة كذلك ثقيلة على الأنفس التي لم تأنس بالفقر منه تعالى ، فلا يؤتيها كثير من الناس بل أكثر الناس ؛ ومن يؤتيها فإنه ربما لا يخلص الية في ذلك فلا تكون طيبة بها نفسه ، أو يتعم الخبيث من ماله ينفق منه . ولا تحسبن الحكومات أنها بمنجاة من عقاب الله ، ومن تهويت النصر الذي وعد الله به من ينصرونه إذا هي عطَّلت هذه التريعة ، وحرمت الفقراء من حقهم في أموال الأغنياء ، وجعلت تعالج مشكلة الفقير بأساليب تستعيرها ممن فشا الفقر بين بعض طوائفهم ، فلم يجدوا له علاجاً على رغم الجهود التي يبذلونها ، والله تعالى قد سن العلاج البسيط الشافي لهذه المشكلة ؛ وحسبنا الله .

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما دعامتان لإصلاح الأفراد والمجتمع ، وقد أقام الله بهما المدرسة الأزلية التي تعلم الناس الفضيلة وتجنبهم الرذيلة ، تعلمهم البر والتقوى وتجنبهم الإثم والعسوان . وقد مسخنا أمر الله وأحللنا الحرام وحرمنا الحلال ؛ فقد قال الله تعالى : « واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليكم » وقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، — الظالمون ، — الكافرون — » وقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » وقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » ، فقيرنا وبدلنا وحكمنا بنير ما أنزل الله ، وقبانا فتنه الناس عن بعض ما أنزل الله ؛ بل عنه كله .

فأصبح الربا حلالاً يأكله الناس بنص القانون وهو حرام بنص الكتاب ، وكذلك أصبح الميسر وشرب الخمر ، ومنعنا الزكاة ولم يحجبها ولي الأمر ، وأبغنا زنا من لم



تسكن متزوجة ، وعاقبتنا على زنا المتزوجة بعقوبة نافهة ، وقبلنا عليها من الأدلة ما لم يأذن به الله تعالى ، وأسقطنا القصاص والدية ، ومنعنا عفو المجنى عليه عن الجاني ، ولم نأخذ أنفسنا بالأخلاق القرآنية والفضائل الإلهية ، وغير ذلك كثير . . .

إن من ينظر إلى « حقائق الأمور » يجد أن النصر الذي وعد الله به عباده ليس قريباً منا ؛ ولا يتم لنا نصر إلا إذا تحقق لنا من الإيمان بالله والقرب منه واتباع أوامره واجتناب نواهيه ما يكون لنا شفيعاً عنده إذا لا ينفع إلا الصدق والإخلاص .

\*\*\*

حدثني بعضهم أن أخا في الله هم بنسف ذخيرة للأعداء في معركة القتال ، فذهب فوجد الأسلاك الشائكة كأنها سد منيع ، ووجد الحراس متيقظين ، وحاول أن يفعل فأطلقوا عليه النار ، وأنجاه الله من نيرانهم فعاد من حيث أتى ، ورجع إلى نفسه ، وقال : لا بد أن يكون الذي وقع لي إنما وقع بذنب أنيته ولا أعلمه . وفي اليوم التالي اغتسل وصلى وتاب إلى الله ودعاه ، وذهب إلى حيث يعاود الكرة ، قال : فكأنما كنت كلما وضعت رجلى في الأسلاك الشائكة صادفت جوة لم أكن أتوقعها ، ووجدت الحراس قياماً ينظرون كأنما سكرت أبصارهم فلم يعودوا يبصرون ، وكأنما مهدت لي الأرض فلم أجد صعوبة في الوصول إلى الغاية التي قصدت إليها ، فأديت الأمانة ، ونسفت من الذخيرة ماعدة خسارة فادحة للأعداء ، وأيقنت في نفسي أن التوبة إلى الله هي التي وطأت لي الأمر كله وإن أنكر الكافرون .

\*\*\*

اللهم حقق لنا وسائل النصر ، ولك عاقبة الأمور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخيارهم خيارهم لنسائهم »

قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

# قَصَصُ الْفِرَآءِ

آءم عليه السلام

أفق الروح

(٢)

عرض وتلليل للأستاذ البهى الخولى

الرزق بين المجال الرومى والحسى :

والله سبحانه يرزقنا فى عالمنا هذا الحسى وفق سنن من الأسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، ووفق سنن من طبيعة التربة والجو والماء .. الخ ؛ فالمعادن تتكون فى الأرض وفق قوانين معلومة وموازن دقيقة ، ولا تتكون كيفما اتفق ... وشجرة التفاح والبرتقال — مثلا — لا تنتج كل منهما ثمرها من تلقاء نفسها ، وإنما يتم ذلك وفق قانون محكم يستصفى لشجرة التفاح من عناصر الأرض الغذائية قبا مختلفة ، ونسبا مقدرة بميزان دقيق من كل عنصر ؛ ويستصفى لشجرة البرتقال قبا أخرى ونسبا تخالف النسب التى تخيرها للتفاح ؛ ولاتملك شجرة التفاح أو شجرة البرتقال أن تمتص من كل عنصر غير النسبة المقدرة لتكوين ثمرتها ؛ فتخرج شجرة التفاح تفاحاً بحساب وميزان ، وتخرج شجرة البرتقال برتقالا بحساب وميزان ؛ وإليه الإشارة بقوله سبحانه : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون (١) » .

هذا شأنه سبحانه حين يرزقنا من عالمنا هذا الحسى ، أما شأنه حين يرزقنا من الأفق الأعلى فغير هذا ... شأنه هنالك أن يخلق بلا سبب ، ويبدع بلا مقدمات ؛ إذ هو سبحانه سبب كل شىء ، وإرادته هى علة الخلق والأمر على نحو ما بين سبحانه ذلك بقوله : « إنما قولنا لشيء إذ أردناه أن نقول له كن فيكون (٢) » ... فإذا كان لأحدنا سعى فى هذا الأفق الأعلى حصل له من الأرزاق مالا دخل لقانون الأسباب والمسببات ومنطق الأرقام والحساب فى تشميره وضبطه ؛ وإليه الإشارة بقوله سبحانه :

« إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » (١) ؛ ولقد كان الله سبحانه يرزق مريم ابنة عمران فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، فسألها زكريا عليه السلام « يا مريم أنسى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ؛ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذا حين يرزقنا الله رزقا حسيا من المجال الحسي أو من المجال الروحي ، أما حين يرزقنا سبحانه رزقا روحيا ، فمصدره الأفق الروحي وحده ، ولادخل للمادة في تسميره أو صنعه أو إنباته فهو من هبات الله عز شأنه ، التي لا تقاس بمقياس ، ولا توزن بميزان ، ولا تحصى بعدد ، ولا تتألف من ذرة ، ولا يسمو إليها وصف الواصف .

وهي أرزاق جليلة الشأن لو سُوم العارفون بقدرها على لحة منها بلاء الأرض ذهباً لرفضوا أن يبيعوا الحياة بالموت ، والشرف بالهوان ، والهدى بالضلالة ، ووجه الله بالعرض الزهيد .

هي الإيمان بالله ، والاهتداء بهديه ، والمعرفة بقدره ، والخشية لمقامه ، والحب لجنابه ...

هي النصر على العدو ؛ والتأييد في مواقف المعارضة ؛ والسكينة في مواطن الروع ؛ والجنود التي لا تراها العيون ولا يعلمها إلا الله !

هي الفرقان الذي تفرق به بين الحق والباطل ، والرشد الذي ندرك به حقائق الأشياء .

هي الصبر والثبات والثقة والطمأنينة والشجاعة والصدق والأمانة والكرم والسماحة والمواساة والإيثار ، وكل ما عرف من فضائل تنضير وجه الحياة .

هي ماشئت من حياة الأبد ، ونعيم غير محصور بآمد ، ومطالب جلئت عن الأسباب لكي تتحقق بدون سبب !

فلك إن شئت : علم بغير معلم  
وأنس بغير أهل  
وعز بغير عشيرة  
وجاه بغير منصب  
وقوة بغير جند  
وسلطان بغير دولة  
وغنى بغير مال  
وزينة بغير رياس  
وشبع بغير طعام  
ورى بغير شراب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لست كهيئة أحدكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني » ذلك بعض ما يقال عمماً لما في السماء من رزق معنوي ، وهو الرزق الحق الذي لا يقارن به ولا يذكر إلى جانبه رزق آخر ، إذ النعمة به ، لا يقدر قدرها ولا يحصى مداها . . . وفي بعض مواطن الكتاب العزيز يذكر الله سبحانه رزق الأرض إلى رزق السماء حين يريد أن يفتح آفاق المجوئين إلى ما ينزل عليهم من السماء من مطر ؛ ولكنه سبحانه حين أراد أن يبين أن الرزق الحق في السماء لا في الأرض قال : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » ، وأقسم لهم على ذلك فقال : « فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

### مفاتيح السماء :

لقد خبا الله لنا هذه الأرزاق فيما وراء المادة ، وجعلها في الأفق الأعلى لمن يريد من عباده ؛ ولا قيمة لهذه الحياة الدنيا إذا لم تنزل إليها تلك الأرزاق من مستواها الرفيع ؛ . . . ولا أنكد لعيش المرء ، ولا أبخس لقدره من أن يعيش في محيطه المجرب محجوباً بعرضه الأدنى عما فوقه من رزق حق ، وفضل واسع ، وخير عميم !  
وإذ قدر الله سبحانه أن تكون لنا حياة في هذه الأرض استودعنا المفاتيح التي تفتح بها خزائن تلك الآفاق العلاء ؛ حتى تكون الأرض كأنها سماء في نعيمها وهداها ، أو كأن السماء هبطت إلى الأرض لكثرة ما يفاض على المرء من نور ورخاء وبهجة . . . تلك المفاتيح هي تقوى الله سبحانه . . . !

نعم هي تقوى الله ، ولا شيء غير تقوى الله .

ولقد قدمنا أن هناك إشرافة في القلب تطوى للانسان ما بين الأرض والسماء وتجعل سنن الله أقرب إليه بالإجابة مما في يده . . . تلك الإشرافة سمها ماشئت ، وقد سميناها سرّاً ؛ لأن أحوال القلوب المؤمنة سر من أمر الله ، لا يجمعه اللفظ ، ولا يحيط به الوصف ؛ وقد سماها الله سبحانه في مقامنا هذا « تقوى » فلنكن عندما سمى الله التقوى لا يقتصر أثرها على تصحيح الأعمال ؛ وسلوك الصراط السوي ، والنجاة من سوء العاقبة ؛ بل يمتد ذلك الأثر إلى استفتاح ما عند الله من أرزاق طيبة مباركة ، وهو عز شأنه الذي يقول : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض (١) » . . . « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب (٢) » . . .



وقد قدمنا أن مريم ابنة عمران كانت ترزق من طيب الطعام وتقول إنه من عند الله . . . وإنما كان ذلك بسر التقوى الذي رشح له الله سبحانه بقوله : « فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأثبتها نباتاً حسناً » والذي تلججه في قرينة الحراب الذي كان بيت نسكها ومهبط رزقها في قوله سبحانه : « كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً »

واقعد كان عيسى بالمسكان المرموق من تقوى الله عز وجل ، ففضله الحواريون أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء ، وقالوا في تسويغ هذا الطلب : « نريد أن نأكل منها ، ونطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقنا ، ونكون عليها من الشاهدين » ، فدعا عيسى ربه فزلت المائدة .

والآيات التي تدل على أن تقوى الله مفتاح الأرزاق التي تنزل علينا بغير سنة ولا قانون كثيرة في القرآن الكريم ، فارجع إليها إن شئت ؛ فإنما نحن في مقام الاستشهاد لافي مقام الاستيعاب ، وحسبنا شاهداً — إلى ما قدمنا من شواهد — قوله عز وجل على لسان نوح عليه السلام : « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا » فالمطر الذي ينزله الله بسنة وقانون ومقدمات معروفة يمكن أن يستنزله المتقون حين يضرعون إلى الله مستغفرين لما فرط من ذنوبهم . . . فمن كان يرى أن استغفاره لا يسعفه بما وعد الله فليعلم أن قلبه يفقد شرط التقوى ؛ وهي السر الذي يصنع به القلب ما شاء الله ، ويصعد به الاستغفار إلى ملكوت السماء ؛ « إنما يتقبل الله من المتقين » ، « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .

ذلك شأن التقوى في استفتاح خزائن الرزق الحسى ، وكذلك هو شأنها في استفتاح خزائن الرزق الروحى . .

فإذا طلبت العلم والهدى فقد أوجبها سبحانه على نفسه لمن اتقاه وآمن به : « يأياها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » ، « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » . وإذا أردت الميسرة مدت لك التقوى أسبابها في الأمر كله : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » ، « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » وإذا شكوت رجس الشيطان يرين على القلب فتقوى الله تكفل لك صفالا بعيد جلوته ، ويبعث ضياءه الحبيس : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .



وإذا أردت معية ترعاك بيأسها فلا ترام ، وتظلك بعزها فلا تذلل ، وتؤنسك بودها فلا تستوحش ، وتفوز معها بالثبوت في كل عاقبة ، فتقوى الله سبحانه مفتاح ذلك كله : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . « والعاقبة للمتقين » « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » .

بل لو خضت معركة في سبيل الله وأردت أن يكون فيها معك ألوف الملائكة مددًا لك على عدوك فتقوى الله سبحانه هي سبيك إلى هذا الأمر المعجز الخطير : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ذلك بعض ما لنا في تلك الأسواق العليا من بر ورزق وعطاء إلهي . . . . .  
وقد تكفل القرآن الكريم بذكره كله فارجع إليه فإنه شفاء الصدور ، وحياة القلوب ونور البصائر ، وبهجة السرائر ، ولا غنى للإنسان عنه في هذه الأرض .

\*\*\*

### تقوى الله والأخذ بالأسباب :

وهذا الذي قلناه عن تقوى الله سبحانه لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب ، ولا يومئ أننا ندعو إلى ترك العمل وإهمال العدة ، ونبذ ما جعل لنا الله في هذه الأرض من ثروة ؛ فتقوى الله سبحانه إن هي إلا سبب يسعى به الإنسان في مجاله الروحي ، كما يسعى بسائر أسبابه الحسية في مجاله المادي . . . فإذا أخذ بتقوى الله وترك الأسباب الحسية فهو جاهل معطل لوجوده الواقعي ؛ وإذا أخذ بالأسباب الحسية وترك تقوى الله فهو فاجر معطل لأسمى أسبابه وأقواها . . . وسنة الله التي رسمها لعباده هي أن يبذلوا الطاقة الروحية والحسية جميعاً ؛ إذ الروحية وحدها ليست بمغنية ، والحسية وحدها ليست بكافية ؛ وقد جاء القرآن الكريم بهما جميعاً ، فقال سبحانه عن الطاقة الروحية : « فاتقوا الله ما استطعتم » . وقال عن الطاقة الحسية : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ذلك من حيث وجوب الأخذ بهما ونظر الشرع إليهما ؛ فإذا ما قارنت بينهما على ضوء القرآن ، وما قصه من حقائق واقعية وجدت سرّاً عجيباً وفرقاً كبيراً يتمثل في أمور كثيرة نذكر منها ما يأتي :

الأول : أن الأسباب الحسية يقتصر أثرها على المجال الحسي وحده ، أما الأسباب الروحية فيمتد أثرها إلى المجال الروحي والحسي جميعاً . . . وفي القرآن الكريم

وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرينا فضل التقوى حين تجعل الأسباب الحسية ديننا مضاعفة الأثر ، مباركة الثمر ، مكفولة النجاح بإذن الله .

الثاني : أن الإنسان مع التقوى — باعتبارها سبباً روحياً — يكون قريباً من الله موصول السبب به سبحانه ... أما الأسباب المادية — كالمال وكثرة العدد والعدة — فيكثر ما تكون فتنة المرء تقطعه عن الله ... فتقته بالله قد تتحول إلى ثقة بالأسباب نفسها — من حيث يدرى أو لا يدرى — فتجلبه عن الله ؛ وذلك هو الخذلان المبين ... إذ الماعل الحق هو الله سبحانه لا تلك الأسباب ، فمن تخلى الله عنه ووكله إلى أسبابه فقد حبط عمله ، وتغلى عنه كل عون ، وربما أتاه الخذلان من قبل الأسباب نفسها ؛ وذلك باب خطر عميق أفاضت كتبت التصوف في بحثه وتجلية حقائقه وآثاره .

الثالث : أن تقوى الله تجبر القصور — لا التقصير — في الأسباب الحسية . . فقد يحدث أن يقصر جهد أهل التقوى عن أن يكون لهم مثل ما لعدوهم من المال أو السلاح أو العدد لسبب خارج عن إرادتهم فتتولى التقوى بإذن الله الوفاء بما قصرت عنه طاقة القل ، ووسع العاجز ؛ ذلك أن السر الحقيقي ليس في الأسباب ، وإنما هو من الله خالقها وميسرها لمن يشاء . وسر الله في القليل هو سره في الكثير ، لا يزيد ولا ينقص ؛ فإذا روى العبد مفرطاً في جنب الله محقت بركة ماله ؛ أما إذا روى ناهضاً بحقه سبحانه ، ساعياً في أمره ، مقبلاً لسنة بذل الوسع والطاقة ، نهض سر الله فغطى ما قصر عنه الجهد ، وفعل بالأسباب القليلة ما يندحر دونه جهد الكثير . . . وقرأ — إن شئت — غزوة بدر ، وقوله سبحانه : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ؛ فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » .

بل قد يستنفذ أهل التقوى جهدهم الحسى فيما هم فيه من أمر الله ، ولا يبقى لديهم من الأسباب المادية قليل ولا كثير ، فتنهض لهم تقواهم بما كانوا يرجون أن تنهض به الأسباب ، بل بأكثر مما كان يدور بخلداهم من ذلك ؛ وهام أولاء فتية الكهف كانوا يدعون إلى الله جهدهم ، ويرجون أن تقوم للتوحيد دولة في مملكتهم ، فلما ضيق عليهم الطغيان ، واضطهدهم ، وصب عليهم عذابه ، لم يجدوا في أيديهم من إمكانيات الدعوة إلا أن يعتزلوا قومهم ، ويخرجوا من المدينة إلى كهف عتيد يمارسون فيه ما تنبض به قلوبهم من شعائر التوحيد لله عز وجل . . . ويقص الله سبحانه هذا الجانب من نبئهم بقوله الذي يحكيه عنهم : « وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون — إلا الله —

فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته . . . » فهم يأوون إلى الكهف لا لكي ينجوا بحياتهم ، ولا ليحرزوا أنفسهم من أذى عدوهم ؛ فالآية لا تقول هذا ، وإنما أووا إليه لأنهم حملة دعوة لا يمثلها في البلاد سواهم ؛ والعمل لنشر رسالتها بين الناس واجب عليهم ، فإذا سلمهم عدوهم إمكانات هذا العمل حسياً ، فهم يدركون سر الإيمان حينها لا يبقى في وسع الإنسان سوى خفقه بالقلب ، فتنادوا أن أووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم ما تريدون من رحمة بين الناس . . . وانظر إلى فقهم الجميل في الأسباب كيف رأوا أن الانطواء ينشر لهم الانتشار ؛ انطواؤهم في الكهف حينما لم يجدوا سواهم ينشر لهم انتشار ما يدعون إليه ، وقد صدقهم الله وعده ، فبارك لهم هذا العمل السلي ، وجعل لهم من البركة والشعر ما لا نظن أنه خطر بيالهم ؛ فقد أمسك الله عليهم الحياة ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، ثم بعثهم من غارهم ليروا الحال غير الحال والأمر غير الأمر ، فقد صار للتوحيد دولة قائمة وأمة مؤمنة وسلطان مبارك عتيد . . . وكذلك أعتنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها . . . »

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا تلك الحقيقة الدقيقة من أمر الله في قصة قصها عن رجل من بني إسرائيل استسلف ألف دينار من رجل آخر ، فقال له صاحب المال ائني شهيد ، فلم يجد الرجل شهيداً يشهد وقال لصاحبه : أما ترضى بالله شهيداً ؟ فقال رضيت بالله شهيداً فائني بكفيل ! ، فلم يجد الرجل من يكفله في الدين ، فقال : كفي بالله كفيل ! فقال صاحب المال : صدقت . . . وأعطاه المبلغ . . . وخرج الرجل فيما وراء البحار ، فلما حان أجل الوفاء بالدين أقبل على ساحل البحر ياتمسس مركباً يرسل بها المال إلى صاحبه فلم يجد ، وطال بحثه وانتظاره على غير طائل : « فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها البحر ، ثم قال : اللهم إنك قد علمت أنني استسلفت فلاناً ألف دينار ، فسألت كفيلاً فقلت : كفي بالله كفيلاً ، فرضى بذلك ، وسألتي شهيداً فقامت : كفي بالله شهيداً ، فرضى بذلك ؛ وإني قد جهدت أن أجد مركباً أبعث بها إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركباً

وإني استودعتكها ، فرمى بها في البحر . . . » فخرج صاحب المال حين حل أجل الوفاء بالدين إلى ساحل البحر ينتظر قدوم المدين فلم يقدم ، ولكنه رأى خشبة قد طرحها الوجود ، فأخذها لأهله خطياً ؛ فلما كسرهما وجد المال والصحيفة التي كتبها له المدين يشرح فيها حاله . . . وبعد مدة عاد المدين من سفره ووضى إلى صاحبه ليدفع له

الدين . فقال له : إن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الحشبة ، فانصرف بمالك راشداً (١) . . .

فشاهدنا في القصة أن بركة تقوى الله تولت عن الرجل المؤمن الصادق إيصال المال إلى صاحبه بعد أن ابتغى الأسباب المادية في كل وجه فلم يجد ، فرفع طرفه إلى السماء يعلن إلى الله تفاد حيلته ، وانقطاع سببه فقال : « اللهم إنك قد علمت أني استعيلفت . . . وأنى قد جهدت أن أجد مركبا أبعث بها إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركبا . . »

تلك شواهد جلية من الكتاب والسنة تدل على أن تقوى الله سبحانه مفتاح عجيب وسر خفي ، يفتح به الله للإنسان ما شاء من خزان ، ويهب له ما شاء من سلطان على ما يعلم وما لا يعلم من سنن وجنود وقوى خفية في ملكوت السماء والأرض ، حتى إنك لتستطيع أن تقرر — وأنت آمن كل خطأ أو غلو — أنها السنة العليا التي يُنفذ الله بها لأهلها ما يشاءون على هذا النحو العجيب ؛ حتى ليحسبهم الراى أنهم يحكمون دولة السماء يتحكمون في مقاديرها وسننها على ما يريدون ، كما يتحكم يحكمون دولة الأرض في مقاديرها وسننها على ما يريدون ، ولكنه الله سبحانه تاذن للبشر — وقد خلقهم من طينة هذه الأرض وحبسهم في حبوس مادتها المظلمة — أن يجعل لهم بتقواه سلطانا ينفذون به من تلك الحبوس الضيقة إلى رحاب السماء ، ويكون لهم به في ملكوتها ما يشاءون ، ماداموا صادقين في ابتغاء وجهه على نحو ما قال سبحانه : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، لهم ما يشاءون عند ربهم ، ذلك جزاء المحسنين (٢) » .

ومن قبيل تلك السيطرة على القوانين والسنن ما جاء في معنى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوشع بن نون كان يقاتل الجبارين ليدخل عليهم الأرض المقدسة إنفاذاً لأمر الله سبحانه ، فلما أوشكت الواقعة أن تنتهى بنصره ، كانت الشمس تدنو للغيب ، وكان اليوم يوم جمعة ، فخشى أن تغيب الشمس قبل أن يحرز النصر المأمول ، فیدرکه السبت والقتال فيه محرم عندهم فتفلمت الفرصة التي أمكنته من أعدائه ، فالتفت إلى الشمس وقال لها — على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — : « إنك مأمورة ، وأنا مأمور ؛ اللهم احبسها عليّ ؛ فحبسها الله تعالى حتى فتحتها . . » . ومثله ما روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه ، حين أمسكت السماء ، فقام

(١) روى ذلك الإمام أحمد بإسناد صحيح ، ورواه البخاري في سبعة مواضع من طرق صحيحة .  
ملقا عليها بصيغة الجزم .

(٢) الزمر — ٢٢ ، ٢٣



أعراني والرسول عليه السلام يخطب يوم الجمعة ، فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله ينزل علينا الغيث ؛ قال أنس : « فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وما في السماء قزعة ، فثار السحاب أمثال الجبال ؛ ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته » واستمر المطر ينزل إلى يوم الجمعة التالية حتى لحق منازل المدينة وسقفها بعض الأذى ، فقام الأعرابي أو رجل غيره ، وقال يا رسول الله : تهدم البناء وغرق المال ، فادع الله يكشف المطر عن المدينة وينزله على ما ورائها ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » وفي رواية أنه قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بأصبعه إلى السماء كأنه يرسم للسحاب الدائرة التي يجب أن ينكشف من داخل محيطها ؛ قال أنس رضى الله عنه — في البخارى ومسلم — : « فما جعل يشير بيده إلى السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الإكليل — وفي رواية — حتى صارت في مثل الجبوبة » : أى في مثل الحفرة الواسعة المستديرة .

\*\*\*

ذلك كله يكشف لنا عن ضالة أفق المادة إذا ربحنا نقارن بينه وبين ما في الأفق الروحي من أسرار وأرزاق وآيات . . . ويكشف لنا عن ضالة مداركنا العادية في جهودها وحصيلة ثمرها إذا ربحنا نقارن بينها وبين ما لنا من مواهب روحية . . . ولسنا نتحدث في هذا المقام عما يلحق الإنسان من خسارة حين يكفر بأفقه الروحي ، ويجعل تعويله كله على أفقه المادى وحده ؛ وإنما بصدد إبراد طرف من الحديث تبين به معالم أفق الروح في السكيان البشرى ، وهو الأفق الذى أراد الله سبحانه أن يعمره بالسر الذى نفخه فينا ؛ وهو أهم آفاقنا شأننا ، وأجلها قدراً . . . ونحسب أن قد تبين مما تقدم معنى قولنا في صدر هذه الكلمة : « إن ذلك السر الروحي هو المملكة الربانية أو الجهاز الإلهى — والله المثل الأعلى — الذى جهز به الإنسان ليؤدى به حق ما أسند إليه » . . .

إن الله سبحانه يريد لهذه الأرض أن تحيا بالحق ، ويريد لنا أن نقوم عنه بذلك ، فما لم يكن لنا من المواهب الروحية ما نستنزل به الحق ، وما نحمل به الحق ، وما نؤدى به الحق ، وما نجاهد به في سبيل الحق ، فكيف نقوم بما يريد ؟ . . .

# السنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

( نشرت « المسلمون » في أعداد السنة الماضية بحثاً مستفيضاً عن تاريخ السنة ، وما نحن قابع نشر هذا البحث عن سنتنا الجديدة ) .  
التحرير

نروين السنة :

بتلك الجهود الموقفة التي سردناها عليك بإيجاز ( في أعداد السنة الماضية من « المسلمون » ) استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثانی مصادرها التشريعية ، واطمان المسلمون إلى حديث نبيهم ، فأقصى عنه كل دخيل ، وميز بين الصحيح والحسن والضعيف ، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدسائس وتآمر الزنادقة والشعوبيين ، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها مايلي :

أولا : تدوين السنة :

قدمنا أن السنة لم تدون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن ؛ وإنما كانت محفوظة في صدور الصحابة نقلوها إلى من بعدهم من التابعين مشافهة ، وإن كان عصر النبي عليه الصلاة والسلام لم يخل من تدوين بعض الحديث كما قدمناه لك في بحث كتابة السنة ، وقد انقضى عصر الصحابة لم تدون فيه السنة إلا قليلا . نعم لقد فكر عمر بتدوين السنة ولكنه عدل عن ذلك ، فقط أخرج البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت أردت أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشئ أبداً<sup>(١)</sup> .

وعذره الذي أوضحه يتفق مع الظرف الذي كان فيه المسلمون ؛ إذ كان القرآن

غضاً طرياً ، والأمم تدخل في دين الله أفواجا ، فلا بد من توفيرهم على كتاب الله حفظاً ودراسة وتلاوة ، حتى يكون الأساس لعقيدتهم ، والحامى لها من كل لبس وتغيير .

واستمر الأمر كذلك إلى أن وقعت الفتنة في عهد عثمان ، وانتشر الكذب في الحديث ، ونهض أجلاء التابعين فمن بعدهم لمقاومة حركة الوضع ، وقاموا بتلك الجهود الجليلة التي تحدثنا عنها . وقد كان من أول ثمار تلك الجهود أن دونوا السنة خوفاً عليها من الضياع وصيانة لها من التزويد والنقصان .

وتسكاد تجمع الروايات أن أول من فكر بالجمع والتدوين من التابعين « عمر ابن عبد العزيز » إذ أرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : « انظر بما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتبه فأني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وأراد أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ( ٩٨ ) والقاسم ابن محمد بن أبي بكر ( ١٢٠ ) ويظهر لي أنه لم يخص أبا بكر بن حزم بهذا العمل الجليل ، بل أرسل إلى ولاية الأمصار كلها وإلى كبار علماءها يطلب منهم مثل هذا ؛ فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق : « انظروا إلى حديث رسول الله فاجمعوه » ولذلك يكون عمر قد أنقذ رغبة جده عمر بن الخطاب : تلك الرغبة التي جاشت في نفسه مودة ثم عدل عنها خوفاً من أن تلبس السنة بالقرآن ، أو ينصرف الناس إليها .

والذي يظهر أن أبا بكر بن حزم كتب لعمر شيئاً من السنة ، فقد أنقذ إليه ما عند عمرة والقاسم ، ولكنه لم يدون كل ما في المدينة من أثر وسنة ؛ وإنما فعل هذا الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ( ١٢٤ ) الذي كان عالماً خفياً من أعلام السنة في عصره ، والذي كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا إليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بالسنة منه ، هذا مع وجود الحسن البصري وأضرابه يومئذ ، والذي ذكر مسلم عنه أن له تسعين حديثاً لا يرونها غيره ، وذكر كثير من أئمة العلم في عصره أنه لولا الزهري لضاعت كثير من السنن .

ويظهر أيضاً أن تدوين الزهري للسنة لم يكن كالتدوين الذي تم على يد البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الصحاح ، أو أحمد وغيره من رجال المسانيد ؛ وإنما كان عبارة عن تخصيص كل باب من أبواب العلم بكتاب على حدة : يجمع فيه الأحاديث المتناسبة مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ؛ وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد ، وقد نستأنس لهذا بما روى عنه من أنه كان يخرج لطلابه أجزاء مكنوبة

يدفعها إليهم ليرووها عنه ، وبذلك يكون الزهري رضى الله عنه أول من وضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة ، بعد أن كان أكثر من سبقه من علماء التابعين يكرهون كتابة العلم خشية من أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الذاكرة ؛ بل كان الزهري نفسه في بدء شهرته العلمية يكره كتابة العلم ويمتنع عنه حتى رغب إليه بذلك عمر بن عبد العزيز ، وسيأتي معنا مزيد بيان لهذا البحث عند الكلام عن الزهري في بحث المستشرقين وموقفهم من السنة .

ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري ، فكان أول من جمعه بمكة : ابن جريج (١٥٠) وابن إسحاق (١٥١) ، وبالمدينة : سعيد بن أبي عسوبة (١٥٦) والربيع بن صبيح (١٦٠) والإمام مالك (١٧٩) ، وبالبصرة : حماد بن مسلمة (١٧٦) ، وبالكوفة : سفيان الثوري (١٦١) ، وبالشام : أبو عمرو الأوزاعي (١٥٦) ، وبواسط : هشيم (١٨٨) وبخراسان : عبد الله بن المبارك (١٨١) ، وبالبصرة : معمر (١٥٣) ، وبالحيرة : جرير بن عبد الحميد (١٨٨) ، وكذلك فعل سفيان بن عيينة (١٩٨) والليث بن سعد (١٧٥) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) ومحمد بن الحسن (١٨٩) في كتاب الآثار وغيره .. وهؤلاء جميعاً كانوا في عصر واحد ولا يدري أيهم سبى إلى ذلك ، وكان ضيعهم في التدوين أن يجمعوا حديث رسول الله ﷺ مضافاً إليه أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد ؛ قال الحافظ بن حجر : إن ما ذكر إنما هو بالنسبة للجمع في الأبواب ، وأما جمع حديث إلى مثله في باب واحد فقد سبق إليه الشعبي ؛ فإنه روى عنه أنه قال : هذا باب من الطلاق جسيم<sup>(١)</sup> .

ثم جاء القرن الثالث فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتأليفهم العظيمة الخالدة ؛ فقد ابتدأ التأليف في هذا القرن على طريقة المسانيد ، وهي جمع ما يروى عن الصحابي في باب واحد بقطع النظر عن موضوعها ؛ وأول من فعل ذلك ، عبد الله بن موسى العبسي السكوفي ، ومسدد البصري ، وأسد بن موسى ، ونعيم ابن حماد الخزازي ، ثم اقتفى أثرهم الحافظ ؛ فصنف الإمام أحمد مسنده المشهور ، وكذلك فعل إسحاق بن راهويه ، وعثمان بن أبي شيبة وغيره . وكانت طريقتهم في التأليف أن يفرّدوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بالتأليف دون أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ولسكنهم كانوا يرحلون فيها الصحيح بغيره ، وفي ذلك من العناية ما فيه على طلاب الحديث ؛ فإنه لا يستطيع أن يتعرف على الصحيح منها إلا أن يكون من أئمة



هذا الشأن ، فإن لم يكن له وقوف على ذلك اضطر إلى أن يسأل أئمة الحديث ، فإن يتيسر له بقى الحديث مجهول الحال عنده .

وهذا هو ما حدا بإمام الحديث ودرة السنة في عصره محمد بن إسماعيل البخارى (٢٥٦) أن ينحو في التأليف منحى جديداً ، بأن يقتصر على الحديث الصحيح دون ماعده ، فألف كتابه الجامع الصحيح المشهور ، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١) فألف صحيحه المشهور ، وكان لهما فضل تهديد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الصحيح من غير بحث وسؤال ، وتبعهما بعد ذلك كثيرون ، فألفت بعدها كتب كثيرة من أهمها : سنن أبي داود (٢٧٥) والنسائي (٣٠٣) وجامع الترمذى (٢٧٩) وسنن ابن ماجه (٢٧٣) . وكتب هؤلاء الأئمة الأربعة مع كتب الإمامين البخارى ومسلم هي التي يطلق عليها في اصطلاح الحديثين « الكتب الستة » وقد جمع هؤلاء الأئمة في مصنفاتهم كل مصنفات الأئمة السابقين ؛ إذ كانوا يروونها عنهم كما هي عادة الحديثين .

ثم جاء القرن الرابع فلم يزد رجاله على رجال القرن الثالث شيئاً جديداً ؛ إلا قليلا مما استدركوه عليهم ، وكل صنيعهم جمع ما جمعه من سبقهم ، والاعتماد على تقدمهم ، والإكثار من طرق الحديث . ومن أشهر الأئمة في هذا العصر : الإمام سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠) ألف معاجمه الثلاثة : الكبير والأوسط والصغير ، أما الكبير فقد رتب فيه الصحابة على الحروف ، وهو مشتمل على خمسمائة وخمسة وعشرين ألف حديث ، وأما الأوسط والأصغر فقد رتب فيهما شيوخه على الحروف أيضاً . ومن المؤلفين في هذا العصر : الإمام الدارقطني (٣٨٥) ألف سننه المشهورة ، وابن حبان البسقي (٣٥٤) وابن خزيمة (٣١١) والطحاوى (٣٢١) .

وبهذا تم تدوين السنة وجمعها وتمييز صحيحها من غيره ، ولم يكن لعلماء القرون التالية إلا استدراك على ما فات كتب السابقين من تدوينه في مؤلفاتهم .. ومن أشهر ذلك مستدرك أبي عبد الله الحاكم النيسابورى الذى استدرك فيه على البخارى ومسلم أحاديث يرى أنها من الصحاح متفقة مع شرطيهما ، مع أنهما لم يخرجها في صحيحيهما ، وقد سلم له العلماء قسماً منها ، وخالفوه في قسم آخر .

# مَنْ عِلْمُ السُّنَّةِ

في البيوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

( ٥ )

باب ما جاء في الصدق والأمانة والورع في البيع والشراء وفصل ذلك

وذم الكذب والخلف لترويج السلعة وغير ذلك

١ — عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ ، قَالَ : « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ <sup>(١)</sup> » .

٢ — عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَلَبٌ <sup>(٢)</sup> ، فَأَعْطَانِي دِينَاراً فَقَالَ : « أَيُّ عُرْوَةٍ أَنْتَ الْجَلَبَ فَاشْتَرِ لَنَا شَاةً » ، قَالَ فَأَتَيْتُ الْجَلَبَ فَسَاوَمْتُ صَاحِبَهُ فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ شَاتَيْنِ بِدِينَارٍ ، فَجِئْتُ أَسْوَقَهُمَا ( أَوْ قَالَ أَقُودَهُمَا ) فَلَقِيَنِي رَجُلٌ فَسَاوَمَنِي فَأَبْتَعْتُهُ شَاةً بِدِينَارٍ ، فَجِئْتُ بِالدِينَارِ وَجِئْتُ بِالشَاةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا دِينَارُكُمْ وَهَذِهِ شَاتُكُمْ ، قَالَ : « وَصَنَعْتَ كَيْفَ ؟ » ، فَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفَقَةٍ يَمِينِهِ <sup>(٣)</sup> » ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقِفُ بِكُنَاسَةٍ <sup>(٤)</sup> الْكَوْفَةِ فَأَرْبَحُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى أَهْلِي <sup>(٥)</sup> .

(١) البيع المبرور : هو التجارة التي يتحرى فيها صاحبها وجوه الحلال .

(٢) الجلب : ما يجلب من بلد إلى بلد للبيع من كل شيء .

(٣) في رواية أخرى فدعا له بالبركة ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه .

(٤) اسم موضع بالكوفة ، والكناسة أيضاً القمامة ؛ ولعل هذا الموضع كان معداً لرمي

الكناسة ، ثم اتخذ بعد سوقاً .

(٥) كان يشتري الجوارى ويبيعها .

٣ — عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةُ الْخَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يَنْفَقُ نِمَّ يَمْحَقُ »<sup>(١)</sup> .

٤ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ<sup>(٢)</sup> النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » .

٥ — عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُبَيْلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ » قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ؟ قَالَ : « بَلَى ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ ، وَيَخْلِفُونَ وَيَأْمَنُونَ » .

٥ — عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي عَزْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نُسَمِّي السَّمَايِرَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَانَا بِالْبَقِيعِ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ — فَسَمَّانَا بِاسْمِهِمْ أَحْسَنَ مِنْ اسْمِنَا — إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْخَلْفُ وَالْكَذِبُ فَشُوبُوهُ<sup>(٣)</sup> بِالصَّدَقَةِ » .

٦ — وَعَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ ثَانٍ قَالَ : كُنَّا نَبِيعُ الرَّقِيقَ فِي السُّوقِ ، وَكُنَّا نُسَمِّي السَّمَايِرَةَ ، فَسَمَّانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَحْسَنَ مِمَّا سَمَّيْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا ؛ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْاَغْوُ وَالْإِيْمَانُ ( وَفِي لَفْظٍ إِنَّ هَذِهِ السُّوقَ يُخَالِطُهَا الْاَغْوُ وَخَلِيفٌ ) فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ » .

٧ — عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْهَى عَنِ بَيْعِ<sup>(٤)</sup> ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا مَعَاشُنَا ، قَالَ : فَقَالَ : « لَا خِلَابَةَ<sup>(٥)</sup> إِذَنْ » ، وَكُنَّا نُسَمِّي السَّمَايِرَةَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

(١) نفاق التجارة : رواجها ، ومحققها : عدم البركة فيها .

(٢) أى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) فشوبوه : أى اخلطوه بالصدقة ، أمرهم بذلك ليكون كفارة لما يجرى بينهم من الكذب ونحوه .

(٤) أى من أنواع البيوع التى يشوبها خداع .

(٥) أى لا خداع ، والمعنى : فإن كان ولا بد من البيع فاجتنبوا الخداع فيه .

٨ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « رَبَّ يَمِينٍ لَا تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ بِهِذِهِ الْبُقْعَةُ <sup>(١)</sup> » ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الذُّخَّاسِينَ <sup>(٢)</sup> بَعْدُ .

٩ — عن محمد بن جُبَيْرٍ بن مُطْعِمٍ عن أبيه رضى الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبُلْدَانِ <sup>(٣)</sup> شَرُّهُ ، قَالَ : فَقَالَ : لَا أَذْرِي ، فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرُّهُ ، قَالَ : لَا أَذْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَاذْهَبْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرُّهُ فَقُلْتُ : لَا أَذْرِي ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرُّهُ فَقَالَ : أَسْوَاقُهَا <sup>(٤)</sup> .

### باب ما جاء في النساهل والناسمخ في البيع والرفقانة ومسئول النفاضي

١ — عَنْ عَطَاءِ بْنِ فَرُّوخَ مَوْلَى الْقُرَشِيِّينَ أَنَّ عُمَانَ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ <sup>(٥)</sup> ، فَلَتَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ ، قَالَ : إِنَّكَ غَبَنْتَنِي <sup>(٦)</sup> ، فَمَا أَلْتَنِي مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَكُومُنِي ، قَالَ أَوْ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ ، نَعَمْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا » .

٢ — عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) أى لا تقبل عند الله لكونها يمينا كاذبة ، ولم يبين البقعة المشار إليها ، وربما كانت في ضواحي المدينة ، ثم اتخذت بعد ذلك سوقا .

(٢) جمع نخاس ؛ وهو يبيع الدواب والرقيق .

(٣) معناه أى بقعة في البلدان شر .

(٤) لأنها كانت الأسواق شر بقعة في البلدان لما يكثر فيها من الكذب والغش والخداع والأيمان الكاذبة .

(٥) أى لم يحضر الرجل لقبض الثمن من عثمان بن عفان رضى الله عنه في الميعاد المحدد .

(٦) أى غلبتني في هذه الصفقة بأخذ أرضى بأقص من قيمتها .



عليه وآله وسلم في سَفَرٍ، فَاشْتَرَى مِنِّي بَعِيرًا، فَجَعَلَ لِي ظَهْرَهُ<sup>(١)</sup> حَتَّى أَوْدُمَ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ أُتَيْتُهُ بِالْبَعِيرِ فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ لِي بِالثَّعْنِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ؛ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ لَحِقَنِي، قَالَ: قُلْتُ قَدْ بَدَأَ لَه<sup>(٢)</sup>، قَالَ: فَلَمَّا أُتَيْتُهُ دَفَعَ إِلَيَّ الْبَعِيرَ، وَقَالَ هُوَ لَكَ<sup>(٣)</sup>، فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ فَجَعَلَ يَعْجَبُ، قَالَ فَقَالَ: اشْتَرَى مِنْكَ الْبَعِيرَ؟ وَدَفَعَ إِلَيْكَ الثَّنَى؟ وَوَهَبَ لَكَ<sup>(٤)</sup> قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ.

٣ — وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى، سَهْلًا إِذَا قَضَى، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى».

٤ — عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: أَيُّ بَابِي وَأُمِّي إِنِّي ابْتِغَيْتُ أَنَا وَابْنِي مِنْ فُلَانٍ ثَمَرَ مَالِهِ (وفي رواية مِنْ ثَمَرَةِ أَرْضِهِ) فَأَخْصَيْنَاهُ، وَحَشَدْنَاهُ، لَا وَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ بِهِ مَا أَصْبَنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِلَّا شَيْئًا نَأْكُلُهُ فِي بُطُونِنَا أَوْ نُطْعِمُهُ مُسْكِينًا رَجَاءَ الْبَرَكَةِ، فَتَنْقُصُنَا عَلَيْهِ، فَجِئْنَا نَسْتَوْضِعُهُ مَا نَقْصُنَاهُ، فَحَالَفَ بِاللَّهِ لَا يَضَعُ لَنَا شَيْئًا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تَأَلَّى<sup>(٥)</sup> لَا أَضْنَعُ خَيْرًا (وفي رواية تَأَلَّى أَلَّا يَفْعَلَ خَيْرًا) ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَتْ فَبَلَغَ ذَلِكَ صَاحِبَ الثَّمَرِ فَجَاءَ فَقَالَ: أَيُّ بَابِي وَأُمِّي إِنْ شِئْتَ وَضَعْتُ مَا نَقْصُوا، وَإِنْ شِئْتَ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ مَا شِئْتَ؛ فَوَضَعَ مَا نَقْصُوا.

(١) أى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركه له يركبه ويحمل عليه أمتعته حتى يصل إلى المدينة

(٢) أى ظننت أنه بدأ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء بخصوص الصفقة.

(٣) بمعنى هبة بعد أن استوفى جابر ثمنه.

(٤) إنما تعجب اليهودي لأن اليهود أحرص الناس على الدنيا، ولا يصدقون أن أحداً يفعل ذلك

(٥) التألى: المبالغة في اليمين، والمعنى أن هذا الرجل حاف وبالع في يمينه أنه لا يفعل خيراً.

# الإنسانية في الشريعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — أول ما يلحظه القارىء للقرآن من سناء الالامع تكريم الإنسانية في كل إنسان من غير اختصاص بلون أو جنس أو قبيل ؛ فالإنسان مكرم لأنه إنسان ، ومقدّر لأنه إنسان ، ومكلف لأنه إنسان ؛ ولقد قال سبحانه : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

والإنسان في هذا الوجود هو الخليفة فيه ، وهو القوام في هذه الأرض ، قد سخر الله له كل شيء فيها ، جعلها الله له زلولا يمشى في مناكبها ، وقد سخر له الماء والهواء والنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، والشمس والقمر دائبين ، والليل والنهار . ولقد قال سبحانه وتعالى في خطابه للملائكة عن الإنسان الأول ، أبي الإنسانية آدم : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

فهذه الآية الكريمة تملو بالإنسانية في نشأتها الأولى إلى أعلى مدارج الكمال ؛ فالإنسان هو الخليفة في الأرض ، وهو الذي قدر له الله سبحانه وتعالى أن يعمرها ويصلح فيها ، ويسيطر عليها ، ويسخر له كل شيء فيها ، وكل ما يتصل بها ذلول له ، أو داني الفائدة إليه . ثم قد أعطاء سبحانه نزوع الاطلاع والمعرفة والاستعداد العلى الكامل ؛ فهو يعلم بتعليم الله الأسماء كلها ، يعرف حقائق الأشياء الأرضية ، أو يستعد لمعرفة بتكوين الله سبحانه وتعالى له ، ثم يعطيه الكرامة الكبرى فيأمر الملائكة

بأن يسجدوا له فيسجدوا ، ويستكبر إبليس ، فيخرجه رب العالمين مذهباً مدحوراً .  
 ٢ — ذلك تكريم الإسلام للإنسانية الأولى ، وقد خلق الله سبحانه الإنسان في أحسن تقويم . والتكريم لمعنى الإنسانية وحدها ؛ ولذلك كانت آدمية مكرمة في بنى آدم جميعاً ، إذ قد اشتركوا في معناها ، فاستحقوا التقدير والتكريم بقدر واحد متساو في أصل الفطرة والتكوين ، فلا فرق في التكريم الفطري المستمد من التكوين الإلهي للإنسان بين حبشي وعربي ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا ملون وغير ملون ، فليس نعمة شعب الله المختار ؛ بل الإنسانية كلها هي الخليفة المختارة في هذه الأرض بمقتضى الإرادة الأزلية ، وليست هنالك جماعة خلقت للسيطرة ، وأخرى خلقت للخضوع ، وليس هناك جنس خلق ليكون حاكماً مطاعاً ، وآخر خلق ليكون محكوماً طائعاً ، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور ، وليس هناك شعوب نقصت فيها معاني الإنسانية ، وأخرى كملت فيها تلك المعاني ، وبمقتضاها تستحق هي البقاء ، والأولى تستحق الفناء ، وليست هنالك طائفة تسخر لخدمة أخرى ؛ بل الأرض بما فيها وما حولها كلها قد سخر للإنسان : سيطر عليه بعقله ، وذلل الله له ، وهو الذي هداه للسيطرة عليه .

٣ — وإذا كان ابن الإنسان ينحرف فيتجكم في أخيه فيعمل على إبادته ، أو تذليله لخدمته ، يستخدم ما وهب في هذا السبيل ، فإن ذلك من نزوع الغلب فيه ، والشهوة الحيوانية المفترسة التي ركبت في الإنسان ممتزجة بالسمو الروحي فيه ، والتي إذا سيطرت جعلت من الإنسان ما يشبه الأسد في آجامها ، والأوباد في فلولاتها ؛ فيكون الغلب للقوة ، وتنسى كل المعاني الإنسانية العالية ، وتتجكم المنازع الشيطانية .

ولقد نزلت الشرائع السماوية كلها لتقوية المعاني الإنسانية العالية وجعلها هي المسيطرة ، وإخفاء النواحي الحيوانية المستكنة في أطواء النفس الإنسانية ، وإقامة الفطرة الإنسانية على أكمل وجه كما قال سبحانه وتعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

فأساس الدين القيم هو تقوية الفطرة الإنسانية العالية التي لم تدنس بأدران الشيطان وتلبسات إبليس اللعين عدو الإنسان الأول ، وعدو الإنسانية إلى يوم الدين .

وإن ذلك الدين القيم يتجدد معناه في كل الشرائع السماوية التي أنزلت على النبيين ، ولذا قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من

بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير .

٤ — في هذه الدائرة الإنسانية العالية ، ونحو ذلك النزوع السامى كانت شريعة القرآن تأخذ بالإنسان من متناحر الأهواء ، ومتنازع الشهوات واصطراع الحق بالباطل ، ومغالبة الأجناس البشرية ؛ لترفع به إلى السمو الإنسانى ، ولتستخرج الينايع الصافية من النفوس الإنسانية ، وتجعلها الغالبة على كدرة الحيوانية والنزغات الإبليسية .

ولأجل هذا اتجهت الشريعة القرآنية إلى التسوية في التكليف بين بنى الإنسان وجعلهم جميعا أهلا للخطاب ، وعلى استعداد كامل للتكليف ماداموا قد بلغوا رشدهم وتكاملت مداركهم ، واستعدوا للأمانة التى 'حملها' الإنسان ؛ كما قال تعالى : «إناعرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا » .

ولذلك كانت التكليفات واحدة لأن الفطرة واحدة ؛ فلا يكلف امرؤ على قدر علوه في الأرض ، ولا يسقط تكليف عن كبير ، ويبقى الحمل على صغير . ولكن ناسا قد نزل بهم ظلم الإنسان للإنسان فاسترقهم إخوانهم وقد كونهم ربهم ليكونوا أحرارا ، فكان التكليف عليهم في بعض الأحوال أقل من التكليف على إخوانهم الذين لم يشغل كاهلهم ذلك الظلم ، ولذلك سقطت بعض التكليفات عن الأرقاء ، وكانت عقوبتهم على النصف من الأحرار ؛ لأن هوانهم في ذات أنفسهم بسبب نير الرق جعل الشرّ يهون في نفوسهم فكان عدل الله أن تكون عقوبتهم دون عقوبة الأحرار ؛ ولذلك قال تعالى في حق الإماماء : « فإن أتيتن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » .

٥ — وإذا كان ثمة تفاوت في القوى الإنسانية ، فإنه يجعل بين بنى الإنسان اختلافات في الاتجاهات ، يضاف إلى ذلك أن بنى الإنسان مع اتحادهم في أصل الاستعداد العقلى ووجود العقل عند جميعهم ، فإنهم يختلفون في مقدار التفكير وفي الاتجاهات الفكرية ، فهذا يصلح للتجارة وذاك للزراعة وذاك للصناعة وآخر يصلح لطلب العلوم ؛ وطلاب العلوم يختلفون فهذا رياضى ، وذاك طبعى ، وذاك صناعى ، وآخر نظرى ،



وهكذا تختلف القوى وتتفاوت ؛ وكل ميسر لما خلق له ، وكل يسير في الطريق الذي رسمه له استعداد الفطرى ومواهبه الإلهية ، فإن عوّق عن السير ووجّهه إلى غير طريقه ضاعت أجزاء من قواه ، أو ضعف عن السير وتخاذل دون الغاية ، ولم تجد الجماعة فيه نقما بمقدار ما فيه من مواهب لو وجهت في اتجاهها .

٦ — ولقد قدر الشارع الإسلامى الذى يقيم الفطرة على أكمل وجوها تلك الحقيقة ؛ فجعل أساس التكليفات الاجتماعية أمرين :

أحدهما : التعاون بين قوى الإنسان المختلفة ، فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وجعل لمن عوّق عن السير الحق في معاونة من استقام به السير إلى نهاية غايته ، وجعل للعاجزين حقا في ثمرات القادرين ؛ ووضع النظم الثابتة لتنظيم هذا التعاون تنظيما كاملا يدر الحيرات ، ويفيض على الجماعات الفاضلة بالبركات ، ويسير بها إلى معالى الغايات الفاضلة في البناء الإنسانى .

وكان للتعاون مع المنحرفين مظهر آخر ، وهو إرشادهم ، ودعوتهم إلى الفطرة القويمة والمنهاج الحق بالحق هى أحسن ؛ فإن لم يستقيموا وبدا شرهم ، واعتدوا فُلّت قوتهم وخضدت شوكتهم ، وحملوا على التزام الجادة حملا ، أو على الأقل كف أذاهم .

٧ — الأمر الثانى الذى يعد أساسا للتكليفات الاجتماعية هو في توجيه القوى الإنسانية نحو الغاية الكبرى وهى مصلحة الجماعة ، واستدراك كل مافى كل واحد من أحادها من ينابيع الخير . وقد كان لهذا ما يسمى في الفقه الإسلامى فرض الكفاية .

ففروض الكفاية التى قررها الشرع الإسلامى هى لتوجيه القوى الإنسانية كل فيما خصص له ؛ ومن لا قدرة له فى أمر يعاون القادر عليه بتهيئة الجو الصالح له وتمكينه من أن يعمل ؛ فالفقه فى الدين فرض كفاية ، وعلم الهندسة فرض كفاية ، والزراعة فرض كفاية ، والجهد والطب من فروض الكفاية ، وكل صناعة أو عمل لا تستغنى عنه الجماعة ، ويقوم عليه نظامها الاقتصادى أو الاجتماعى أو الحكومى من فروض الكفاية التى يقوم بها البعض ، وإن لم تؤدّ فالتبعات تقع على الجميع .

وقد وضّح ذلك المعنى الشاطبى فى المواقفات فى فرض الكفاية فقال : « إن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة فهم مطالبون بسدها على الجملة ، فبعضهم قادر عليها مباشرة ، وذلك من كان أهلا لها ، والباقون وإن لم يقدرُوا قادرُونَ على إقامة القادرين ، فمن كان قادراً على الولاية فهو مطلوب بإقامتها ، ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر هو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها ؛ فالقادر إذن مطلوب بإقامة الفرض ،

وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر ؛ إذ لا يتوصل إلى قيام القادر إلا بإقامته . من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .»

هذه عبارة الشاطبي بنصها ، وإنه لا يكتفى بذلك التفسير القويم ، بل يبين تفاوت الناس في قدرتهم على الأمور واختلاف مواهبهم ، فهذا قد تهيأ للعلم وذلك قد تهيأ للرياسة وذلك قد تهيأ للصناعة ولكل فضل ، والنتائج لأعمالهم متشابهة متعاونة . والواجب أن يربى كل امرئ على ما يسر له حتى يبرز كل واحد فيما يقدر عليه ، ويقول في نتائج تلك التربية : « وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم ؛ لأنه سير أولاً في طريق مشترك ، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة يحتاج إليها في الجملة ، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية ، وبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة . فأنت ترى أن الترقى في طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد ، ولا هو على العامة بإطلاق ، ولا هو على البعض بإطلاق ، ولا هو مطلوب من حيث المقاصد دون الوسائل ، ولا بالعكس ، بل لا يصح أن ينظر فيه نظر واحد ، حتى يفصل بنحو من هذا التفصيل ، ويوزع في أهل الإسلام بمثل هذا التوزيع ، وإلا لم تضبط القول فيه بوجه من الوجوه ، والله أعلم (١) » .

٨ — وترى من هذا أن الإسلام يتجه في تنظيم الجماعة الفاضلة نحو العمل الإنساني بتضافر كل القوى ، والانتفاع من كل المواهب ؛ وبذلك تنبثق كل المواهب الإنسانية وتجري في مجرى واحد هو النفع الإنساني العام ، والاتجاه نحو الغاية المشتركة وهي دفع الضرر وجلب المصلحة .

وإن الإسلام يتجه فوق ذلك إلى تهذيب الروح ، وإرهاف الوجدان ، وتقوية المنازع الروحية ؛ لينتصر كل امرئ في الحرب التي يثيرها الشيطان في قلبه ، ويتخذ من الجانب الحيواني ذرائع لمحاربة الفضيلة ، وإنه إذا قويت الإرادة وعلا الجانب الروحي تحطمت ذرائع إبليس ، وخرج من قلب الإنسان مذهب وما مدحوراً ، كما خرج من جنة الله في بدء الخليقة .

وإن تربية الجانب الروحي كان بالعبادات التي فرضها ؛ وكلها يتجه إلى تهذيب النفس ، والإحساس بمراقبة الله في كل عمل يعمل المرء كما ورد في الأثر : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وإنه فوق ذلك الجانب الروحي في العبادات الإسلامية توجيه اجتماعي سليم ؛ فالعلاة والصوم والحج ، نسك روحي ،

وتأليف اجتماعي ، ألا ترى في الصلاة الصفوف قائمة يجلس الفقير ذو الأسنال البالية بجوار الغني ذي الثياب الفاخرة الزاهرة ، ويجلس الأمير بجوار الحفير ، كما ينبغي أن يكون التدين الصحيح ، ولا يتحيز الأقوياء بمكان ، والضعفاء ينبذون في غيره . والمسلمون جميعاً يشعرون بأنهم متجهون بوجوههم نحو قبلة واحدة ؛ لأنهم صف واحد في هذا الوجود ، والصوم فيه — مع تهذيب الروح — تربية الإحساس الاجتماعي بالشعور بآلام الجوع وويلاته والعيش آناء النهار وأطراف الليل كما يعيش المحدودون المحرومون ، والحج هو الروح والاجتماع معا ، والزكاة تنظيم اجتماعي واقتصادي خالص وهكذا يربي الإسلام المؤمن ليعمل بروحه في ذات نفسه ، وليكون عنصراً مؤثلاً مع جماعته ينفع ولا يضر ، ويألف ويؤلف ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مآلف ، ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » .

٩ — وإذا كان الإسلام قد اتجه بالآحاد نحو السمو الروحي ، والتأليف الاجتماعي والتنظيم بين القوى الإنسانية العاملة ، ورأب الصدع بالطب للعاجزين ، وسد حاجاتهم ، فإنه لم يجرّد الإنسان من طبيّات الحياة ؛ فلم يمس الورع فيه حرماناً وتعذيباً جسدياً ، ولكنه ورع إنساني يتفق مع كمال الإنسان ومطالب جسده ، حتى لقد قال أحمد ابن حنبل : « إن الورع هو طلب الحلال » . ولذا أباح زينة الحياة ، وطبيّاتها من غير إسراف ولا خيلاء ، فقد قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » . ولقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلوا واشربوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة » هذه لمحات إنسانية في المعاني الإسلامية ، وارجو أن نوفق لبيان المصالح الإنسانية وعموم النفع الإنساني في الشرع الإسلامي ، والله سبحانه هو الموفق .

# الله الله في القرآن !

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

منذ أيام ونفسي تلحّ على إلحاحاً شديداً بكتابة كلمة صريحة في هذا الموضوع ، لعل الله ينير منا البصائر فنرى الخطر الداهم الذي يوشك أن ينال الإسلام من أساسه ، ويكون من ذلك أن نعمل في جد وحزم على دفع هذا الخطر قبل ألا نستطيع له دفعا . وذلك ، أن من ينظر إلى المستقبل القريب ، ولا أقول البعيد ، يوقن يقينا لا ريب فيه أنه بعد انقراض هذا الجيل من حفظة القرآن لن نجد في مصر من يحفظ شيئا منه ، بل من يجيد تلاوته من المصحف ، وإذا كان هذا في مصر ، معقل الإسلام ورأس العربية والعروبة ، فسيكون الأمر كذلك في غيرها ؛ لأن مصر هي التي تنفرد بحفظ القرآن منذ زمن طويل ، وحينئذ يفقد القرآن — لا قدر الله تعالى — صفة التواتر التي يتميز بها عن سائر كتب الله المقدسة .

ولولا أننا نؤمن بقدرة الله ، وأنه هو الذي أنزل كتابه هدى ونورا لحلقه ، وهو الذي تولى حفظه إذ يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » لبيّسنا منذ الزمن البعيد ؛ وذلك بسبب السياسة التي تتحكم في وزارة المعارف والتعليم ، والتي انتهت اليوم بعدم وجود معهد رسمي يقوم على تحفيظ القرآن .

ونذكر بعد هذا شيئا من التفصيل ، لعل فيه تذكيرا للناس وتنبيها للغافل ، والله المستعان .

١ — كانت المدارس الأولية قبل النظام الجديد للتعليم تعنى بعض العناية بالقرآن وتحفيظه ، بل كان بالكثير منها « أقسام للحفّاظ » . واليوم وقد أخذت رياض الاطفال تحل محل هذه المدارس ، أصبحنا لا نجد أثرا لهذه الأقسام ، بل انعدمت العناية بالقرآن في هذه المرحلة من مراحل التعليم .

٢ — وكانت مدارس المعلمين الأولية تشترط فيمن ينتسب إليها حفظ القرآن كله ، ثم صارت بعد حين تشترط حفظ نصفه ، على أن يؤدي قبل تخرجه الامتحان بنجاح في حفظه تاماً . واليوم — ابتداء من هذا العام — أبيع أن يتقدم لهذه المدارس حملة الشهادة الابتدائية ، ومعنى هذا ألغى شرط حفظ شيء من القرآن في طلبتها ، بل أصبح لغير المسلم أن يتقدم للانتساب إليها مادام معه الشهادة الابتدائية



٣ — وكانت كلية دار العلوم ، تحتفظ حتى العام الماضي بطابعها الإسلامي ، إذ كانت تأخذ طلبتها من الحائزين للشهادة الثانوية من أبناء الأزهر ، وهؤلاء يفرض فيهم أنهم يحفظون القرآن تاملًا أو غير تام . وفي هذا العام الحالى أخذت طلابها من حملة الشهادة التوجيهية الذين لا يحفظون القرآن طبعًا ، إلا من رعاه الله فنشأ في بيت متدين لحفظ شيئًا منه بوسائله الخاصة . وليس يغنى شيئًا في هذا السبيل تعهد الطالب أن يحفظ القرآن داخل الكلية ، وأن يؤدي امتحانًا فيه قبل تخرجه ؛ لأن ذلك يعتبر تكليفًا بمالا يُطاق عادة .

٤ — وكان طلاب المعاهد الابتدائية من الأزهر لا يدخلون هذه المعاهد إلا وهم يحفظون القرآن كله ، ثم تساهل أولو الأمر بالأزهر تحت ضغط ما يسمونه الظروف ، فأصبحوا لا يشترطون إلا حفظ نصفه . ونعتقد أن هذا الشرط الأخير أصبح أيضًا هذه الأيام حبرا على ورق كما يقولون ، وأصبح الكثير من طلبة هذه المعاهد لا يحفظون شيئًا ذا غناء من القرآن .

٥ — وبكلمة واحدة ، صار أبناءنا يذهبون في أول نشأتهم إلى رياض الأطفال ، وهذه تسلمهم إلى مرحلة التعليم الابتدائي ، ثم ينتقلون إلى التعليم الثانوي ، وأخيرًا الجامعة . فمق وأين يتعلمون القرآن ويحفظون قدرًا صالحًا منه ؟ بل كيف يحسن الواحد منهم تلاوته ؟

٦ — يقولون إن منهجًا جديدًا وضع للتعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وإنه حسب هذا المنهج أصبح للدين ستة دروس في الأسبوع في الابتدائي واثنيان في الثانوي .

وهنا نذكر أنه لا يخصص للقرآن في هذا المنهج إلا ثلاثة دروس في الابتدائي ، ودرس واحد في الثانوي ، فهل في هذا كفاية لحفظ شيء من القرآن ؟ ثم إن مادة الدين كلها لا امتحان فيها ، ومن ثم لا يهتم التلاميذ ولا المدرسون بها طبعًا ، بل إن جمهرة هؤلاء يشغلون دروسها بدروسهم في المواد الأخرى ؛ وبذلك يصبح أمر تعليم الدين لعبًا وسخرية بالدين نفسه !

٧ — وقد يقال بأن هناك جمعيات خاصة غير رسمية تهتم بتخفيف القرآن ، ولكن من أين تستمد هذه الجمعيات تلاميذها من أبناء الأمة ؟ إن الآباء تفتنهم رياض الأطفال والمراحل الأخرى الرسمية للتعليم ، كما يفتنهم المستقبل الزاهر الحرجي هذه المعاهد والجامعة من بعدها . والنتيجة الطبيعية لهذا وذاك الانصراف عن جمعيات تخفيف القرآن ، وبخاصة وليس لحرجيها أى ضمان للمستقبل الطيب والحياة الكريمة .

٨ — لقد رأينا إذن من ذلك ، أن نظام التعليم العام ، الذي يتولى الفناء وهم أطفال حتى يتخرجوا من الجامعة ، قد وُضع ليصرف الأمة عن حفظ القرآن ، بل عن العناية بإجادة تلاوته ! وهذا إلى درجة تجعل من المتعذر أن يجد من يريد لأبنائه حفظ القرآن الوسيلة لذلك !

### وبعد

أيها الناس ! نريد أن يعلم من يجب أن يعلم أن مصر بلد إسلامي ، وأنها معقل الإسلام فلا تبغى عنه حولا ، وأنا مصممون على أن نظل دائما رعاة الإسلام وحماة ، وأنه لا مئيل لذلك إلا بالعناية بالقرآن كتابه الأول : حفظا ومدارسة وفهما وعملا به ، وبسنة الرسول الكريم ، وأنه ليس في شيء من ذلك دعوة لفرقة دينية أو طائفية ؛ فالإسلام أحرص الأديان على الألفة والمودة وجمع كلمة أبناء الوطن الواحد ، مادام كل من أبنائه متمسكا بدينه لا يريد بأخوته في الوطن أي شيء من الظلم أو العدوان ؛ وفي ذلك يقول القرآن نفسه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

أيها المسلمون ! إن القرآن كتاب الإسلام ودعامته وأساسه الوحيد ، وإن الله قد أزاله هدى للمتقين ونورا أخرج به العالم من ظلمات الشرك والجهالة ، وإنه المصدر الأول لشريعة الإسلام ونظمه الرشيدة الحكيمة في الحكم والإدارة ، هذه النظم التي بها صلاح المسلمين والعالم كله في الحاضر والمستقبل من الزمان .

أيها المسلمون ! إن هذا الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه تنزيل العليم الحكيم ، هو الذي يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه على ما رواه سيدنا علي رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم » قلت يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تعالى ؛ فيه نباء من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين . . . وهو الذي لا تزيع به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يملكه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . . . من حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم <sup>(١)</sup> » .

(١) راجع الحديث كله في أحكام القرآن للقرطبي ، ج ١ : ٤ من الطبعة الأولى لدار الكتب .

أيها المسلمون ! لقد عشت في باريس مدة طويلة من الزمن ، وفيها عرفت كثيرا من أبناء الشعوب الإسلامية من شتى أقطار الأرض ، وتحققت أن الله اختص مصر بميزة حفظ القرآن والقيام عليه ؛ إذ قصارى غير المصريين إجادة تلاوته من المصحف كما كنا نسمع من القارئ يوم الجمعة بمسجد باريس . بل عرفت أن من الشعوب الإسلامية من لا يجدون السبيل لاقتناء المصحف ، أمثال أبناء غرب إفريقية الواقعة تحت سلطان فرنسا العاتية في ظلها وجبروتها متى وجدت نفسها إزاء شعب ضعيف ، وأمثال أبناء جنوب إفريقية الذين يسيطر عليهم النفوذ الإنجليزي الاستعماري الظالم . وإن علينا ، حين نعلم ذلك ونلمسه ونراه ، أن نعمل في جد وحزم وقوة على أن نحفظ بالميزة التي اختصنا الله بها ، وأن نعمل كذلك على أن يصل القرآن لكل أبناء الأمة الإسلامية ومعه قوم يقومون على تحفيظه وتفهمه ودراسته ، وذلك كله كما تفعل الدول والأمم المسيحية في هذه البلاد بالنسبة للتوراة والإنجيل ونشر الدين المسيحي بكل طريق ، وذلك برغم ما يزعمون من حرية الاعتقاد !

أخى في الله والوطن الرئيس محمد نجيب ! إن الله قد خصك بمكرمة لم يخص بها أحدا من أبناء هذا الجيل ، واصطفاك لرسالة تؤديها في هذا الزمن لمصر والإسلام ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وإن الله لا يخفى من يصطفيه لأمر جليل كالذي اصطفاك له من نصره ورعايته متى ظل قائما على رسالته عاملا على تحقيقها بكل سبيل يتفق مع الحق والقانون . هذه الرسالة هي إعادة بناء هذه الأمة بعد أن زال طاغوتها وطغاتها ، ولا سبيل للبناء الصالح للخلود إلا أن يقوم على أسس سليمة قوية ، وأول هذه الأسس هو القرآن وما جاء به ، فعلينا أن نمسك له في صدور أبناء الأمة الإسلامية جميعا ، وذلك بالعمل على حفظه بمصر ونشره في سائر بلاد الإسلام .

وليس لهذا إلا طريق واحد ، بعد أن جيل فعلا في ظل قانون التعليم ونظمه القائمة الحالية الطرق على من يريد حفظ القرآن في معاهد الدولة ، وهذا الطريق هو إصدار قانون يحتم حفظ نصف القرآن مثلاً في المرحلتين الابتدائية والثانوية . وبعد ذلك يكون من الممكن متى عرف الشاب المثقف المسلم جدوى القرآن في تقويم لسانه ، وثقيف عقله ، واطمئنان قلبه وتحبيبه إلى المثل الأخلاقية العليا . نقول بعد أن يدرك الشاب المسلم ذلك ونحوه ، يندفع من نفسه لحفظ باقي القرآن .

ثم إصدار قانون آخر يعترف بجمعيات تحفيظ القرآن ، ويعين تلاميذها ، ويعترف بشهاداتها النهائية وأنها تجيز لهم الالتحاق بالمدارس الثانوية مع التجاوز عما يكون

من فرق السن ، ومع تعديل مناهجها بما يؤهلهم لذلك بعد أن يكونوا قد أتموا حفظ القرآن .

هذا هو ما يريد الإسلام من الدولة في هذا السبيل . أما الأزهر فعليه أن يعود إلى سنته الأولى ، فيحتم شرط حفظ القرآن على من يريد الانتساب إليه ، وينفذ هذا الشرط فعلا ، وإن العمل لذلك أولى رجال الأزهر من أن يدس بعضهم لبعض ويصارع بعضهم بعضا في سبيل المنصب والجاه والنفوذ وحطام هذه الحياة .

وأخيرا ، إننا إن لم نقيم بواجبنا في هذا السبيل : حكومة وهيئات وشعبا ، لم يكن لنا أن ننتظر عناية الله ونصره ، وكنا أمة مسلمة بنص الدستور خسب دون الواقع العملي ؛ أمة تقول ولا تفعل ، وتمنى ولا تريد ، أو تريد ولا تصمم على تحقيق ما تريد من الخير لها وللعالم كله . ونعوذ بالله من أن نصير إلى ذلك بعد أن استيقظنا من النوم وتخلصنا من سياسة العهد الذي نرجو أن يكون قد انتهى إلى غير رجعة بكل سيئاته وأوزاره ورجاله وأحزابه .

هذا ، وليس من العسير على من يريد ممن تقدمت بهم السن حفظ باقي القرآن ، متى حفظ قدرا صالحا منه في صغره ، وبخاصة ومعرفة بعلم اللغة وما إليها تعينه على حفظ القرآن إذا صار أهلا لتذوقه وفهمه . ولعل من الخير أن نشير هنا إلى ما أحرزه كثير من شباب « الإخوان المسلمون » من النجاح في هذا السبيل<sup>(١)</sup> . والله الموفق لكل خير ، ونسأله العون والتوفيق .

(١) انظر ما كان عليه أقطار الإسلام في هذه المسألة ، في مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٧-٤٤٩ طبع مطبعة التقدم عام ١٣٢٢ هـ ، في الفصل الخاص بتعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه .



# المتقبل للإسلام

للأستاذ سيد قطب

( ٣ )

لعل قائلًا — بعد الذي تقدم — أن يقول : إذا كانت المسيحية قد استنفدت أغراضها منذ القرن الخامس ، ولم تعد لها وظيفة إيجابية في حياة المجتمع الإنساني ، لأن النظم التي قامت على أساسها قد ترنحت منذ ذلك الحين ، باعتراف باحث مسيحي ، وباعتراف الواقع الذي يشهد بأن المجتمع قد انعزل عن روح المسيحية في البلاد المسيحية ذاتها ، وقامت أسسه على أفكار مادية بحتة : بعضها مستمد من التقاليد الرومانية القديمة ، وبعضها مستمد من المذاهب الفكرية للمادية الحديثة .

إذا كان هذا قد وقع للمسيحية ، فلم لا يكون مثله قد وقع للإسلام ؟ لم لا يكون الإسلام قد استنفد أغراضه في خلال أربعة قرون أو خمسة ، ولم يعد يملك أن يكون قوة إيجابية في حياة البشرية ؟ لأن المجتمعات الإسلامية ذاتها قد تخلت عنه منذ فترة طويلة ، واتجهت إلى خليط من الأفكار والمبادئ ، إن لم تكن مادية منظمة كالمادية الأورجية ، فإنها على كل حال ليست هي الإسلام ، وليست هي الفكرة الإسلامية على حقيقتها !!!

ولقد كان من اليسير على أن أرد بعقيدة المسلم فأقول : إن المسيحية إنما هي نخلة محلية جاءت لتكون قاصرة على بني إسرائيل . باعترافها هي ذاتها على لسان المسيح : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة <sup>(١)</sup> » ، وهي تسكلمة لليهودية الأولى ، وليست رسالة مستقلة باعترافها ، وباتخاذها « العهد القديم » المحتوي على شرائع موسى ، وعلى كافة الأساطير والأقاصيص التي يضمها هذا العهد ، كتابها المقدس ، كالعهد الجديد تمامًا ، وهو الذي يضم الأناجيل والرؤى وقصص القديسين والصالحين من المسيحيين .. بينما الإسلام رسالة إنسانية عامة ، وهو الرسالة الأخيرة التي لم تحدد نفسها بقوم ولا زمان ولا مكان .

كان من اليسير على أن أرد على ذلك القول بعقيدة المسلم هذه . ولكنني أحببت أن أسلك طريقاً آخر ، وأن أناقش القضية مناقشة موضوعية — سيأتي تفصيلها في ثانياً عرض الأسس التي يقوم عليها نظام المجتمع الإسلامي . وهي الموضوعات التي يقوم عليها هذا البحث — ومن هذه المناقشة يتبين إن كان لذلك القول مبرر ، أم أنه مجرد قياس ظاهري لا يقوم على حقائق موضوعية .

وإنني لأكتفي هنا بأن أقول على سبيل الإجمال الذي سنتولى فيما بعد تفصيله : إنه مامن فكرة عرفتها البشرية حتى اليوم في تنظيم العالم كوحدة إنسانية ، وفي تنظيم المجتمع كوحدة بشرية ، إلا وفكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان أكبر منها وأرحب ، وأعظم قابلية للنمو والتجدد ، وأكثر قدرة على التوفيق والتنسيق بين قوى الحياة وطاقت الإنسان ، وحاجات البشرية على وجه العموم . وإن النظام الاجتماعي المستمد من هذه الفكرة المنبعث تلقائياً من مجرد استقرارها في الضمير البشري ، هو أعدل النظم وأكثرها توازناً ومراعاة للفطرة وإطلاقاً للقوى والطاقت الصالحة ، لتعمل على إنماء الحياة وترقية الحياة .

وحين يثبت هذا القول ، فإن انحسار الموجة الإسلامية الأولى لا يكون دليلاً على استنفاد أغراض هذه الفكرة وهذا النظام ؛ إنما يكون تأويله الصحيح أن البشرية لم تكن صالحة في ذلك الحين لإلهذا القدر الذي تحقق وقتها من رسالة الإسلام . والذي تحقق ليس بالشئ اليسير . إذا أردنا أن نكون منصفين فنستلهم الحقائق التاريخية وحدها في معزل عن الدعايات المغرضة أو عن المبالغات المفرطة . حين نعلم أن الإسلام كان يعرض على البشرية وينفذ ما يعرض : مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة . في عالم تحكمه الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية حكماً إقطاعياً إرهابياً يقسم الناس إلى سادة وينكر على العبيد صفة الإنسانية ، ويتشكك فيما إذا كانت المرأة — البيضاء — ذات روح إنسانية أم غير ذات روح ، مما جعل المسيحيين واليهود والخاضعين لسلطات الامبراطوريتين يهرعون إلى هذه المبادئ الجديدة التي لم تعرف لها البشرية من قبل نظيراً . ثم تغلب هذه المبادئ حتى تصبح هي مبادئ البشرية كلها ولكن بعد أحد عشر قرناً ... حينما اعتنقها أوروبا في العصر الحديث منذ أيام الثورة الفرنسية . فلاتبلغ بها لافي عالم المبادئ ، ولا في عالم النظم ما بلغ بها الإسلام في أيامه الأولى ؛ لأن الطبيعة المادية التي ورثتها أوروبا عن الدولة الرومانية ، لم تسمح لها يوماً أن تدرك بضميرها حقيقة هذه المبادئ الإسلامية ، وإنما تأثرت بها من الظاهر

بعد اتصالها بالعالم الإسلامي في الحروب الصليبية ؛ فكانت كل النهضات وكل الثورات في أوروبا ١

وقد استطاع الإسلام عن طريق هذا الاتصال أن يؤثر في النهضات الأوروبية الأخيرة التي جاءت أثرًا مباشرًا للحروب الصليبية ولقيام دولة الأندلس في أسبانيا باعتراف الأوربيين أنفسهم . استطاع في هذا المجال أن يؤثر مالم تؤثره المسيحية التي كانت ومازالت الديانة الرسمية للارقة الأوربية .

ومرد هذا إلى طبيعة الإسلام الإيجابية ، وطبيعة المسيحية السلبية ، فيما يختص بالتنظيم العملي للمجتمع ؛ فالمسيحية لم تكن يوماً قادرة على التأثير الكامل في المجتمع الغربي القائم على التقاليد الرومانية لأنها لم تقدم لهذا المجتمع صورة عملية واضحة للمجتمع الذي تريده هي ، وإن كانت قد قدمت صورة شاعرية رقيقة للفرد الذي تريده .

أما الإسلام فقد قدم الفكرة وقدم معها ترجمتها العملية في صورة مجتمع . ومع أن صور المجتمعات الإسلامية لم تكن في الأندلس ، ولا في أيام الحرب الصليبية هي خير الصور التي يقدمها الإسلام . فإن ما بقي فيها من آثار الفكرة الإسلامية الكبرى ومن آثار الحضارة المادية والعقلية كان كفيلاً بأن يهز الأوربيين في ذلك الحين ، وأن يدفع بهم دفعة قوية إلى عصر الإحياء ، وأن يثير في رؤوسهم فكرة الحرية والإخاء والمساواة مبلورة فيما بعد في الثورة الفرنسية ، التي تعد آخر دفعة من دفعات الحضارة الغربية في المجال الإنساني .

هذه الحقائق التاريخية وحدها كفيلاً بأن تقودنا إلى تأويل معين لوقوف المد الإسلامي الأول . هو التأويل الذي أسلفنا ... هو أن البشرية لم تكن مستعدة في ذلك الآوان إلى أن تطبق أكثر مما أطاقت من ذلك الزاد الخالد ، وأن تجارب البشرية الطويلة بعد هذا كفيلاً بأن تجعلها أقدر على تلقي ذلك الزاد ، والانتفاع به أكثر من أي وقت مضى .

وكل هذا يضاعف التبعة الملقاة على عواتقنا في إعادة عرض الأفكار والنظم التي جاء بها هذا الدين ، لتكون زاد الإنسانية الخالد ، تثوب إليه بين الحين والحين وتستمد منه الدفعة بعد الدفعة في طريق الحياة الطويل .

وفي هذا البحث سنعرض — إن شاء الله — نظم المجتمع الإسلامي وأسسها كما يمكن أن يكون عليه هذا المجتمع في الحاضر القريب ، وكما يمكن أن يتطور في المستقبل البعيد . ومن هذا العرض ستبين الإمكانيات الضخمة المتجددة لهذا النظام ، بغض النظر عن الصور التاريخية التي حققها ، والتي ليست هي الصور الوحيدة الممكنة ، كما يظن الكثيرون ممن يجهلون حقيقة الإسلام ؟

## صفحة حية من تاريخ الحركة الإسلامية

للامام الشهيد حسن البنا

« في هذا الأسلوب السهل الممتنع ، وفي وضوح يأخذ القلب مآ ، يحدثنا الرجل العظيم عن فترة من تاريخ مصر قدر لها أن تحظى به ، وتشهد مطلع كفاحه »  
التحرير

### موجة الاتحاد والإباحية في مصر

« ... وعقب الحرب الكبرى ، وفي هذه الفترة التي قضيتها بالقاهرة ، اشتد تيار موجة التحلل في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرر العقلي ، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي ، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية ، لا يثبت أمامها شيء ، تساعد عليها الحوادث والظروف .

أفد قامت تركيا بانقلابها الكمالى وأعلن مصطفى كمال باشا إلغاء الخلافة ، وفصل الدولة عن الدين في أمة كانت إلى بضع سنوات في عرف الدنيا جميعاً مقر أمير المؤمنين ، واندفعت الحكومة التركية في هذا السبيل في كل مظاهر الحياة .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلى إلى جامعة حكومية تديرها الدولة وتضم عدداً من الكليات النظامية ؛ وكانت للبحث الجامعى والحياة الجامعية حينذاك في رؤوس الكثيرين صورة غريبة مضمونها أن الجامعة لن تكون جامعة علمانية إلا إذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، واندفعت وراء التفكير المادى المنقول عن الغرب بخدايرة ، وعُرف أساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود .

ولقد وضعت نواة « الحزب الديمقراطي » الذى مات قبل أن يولد ولم يكن له منهاج إلا أن يدعو إلى الحرية والديموقراطية بهذا المعنى المعروف حينذاك : معنى التحلل والانطلاق .

وأُنشئ في شارع المناخ ما يسمى بالمجمع الفكرى ، تشرف عليه هيئة من « التيوثوفيين » وتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الأديان القديمة ، وتبشر بوحي جديد ، وكان خطباؤه



خليطاً من المسلمين واليهود والمسيحيين وكلهم يتناولون هذه الفكرة الجديدة من وجهات النظر المختلفة .

وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بهذا التفكير الذى لا هدف له إلا إضعاف أثر أى دين ، أو القضاء عليه فى نفوس الشعب لينعم بالحرية الحقيقية فكربا وعمليا فى زعم هؤلاء الكتاب والمؤلفين .

وجمزت « صالونات » فى كثير من الدور الكبيرة الخاصة فى القاهرة يتطرح فيها زوارها مثل هذه الأفكار ويعملون بعد ذلك على نشرها فى الشباب وفى مختلف الأوساط

### رد الفعل

كان لهذه الموجة رد فعل قوى فى الأوساط الخاصة المعنية بهذه الشؤون كالأزهر وبعض الدوائر الإسلامية ، ولكن جمهرة الشعب حينذاك كانت إما من الشباب المثقف وهو معجب بما يسمع من هذه الألوان ، وإما من العامة الذين انصرفوا عن التفكير فى هذه الشؤون أقلية المنهين والموجهين ، وكنت متألماً لهذا أشد الألم ، فها أنذا أرى أن الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها القالى العزيز ، الذى ورثته وحتمه ، وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرناً كاملة ، وبين هذا الغزو الغربى العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاء ، والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية .

وكان ينفس عن نفسى بعض الشيء الإفضاء بهذا الشعور إلى كثير من الأصدقاء الخالصاء من زملائنا الطلاب بدار العلوم والأزهر والمعاهد الأخرى ، فكان الشيخ حامد عسكريه رحمه الله ، وكان الشيخ حسن عبد الحميد ، وحسن افندى فضلية ، وأحمد افندى أمين ، والشيخ محمد بشر ، ومحمد سليم عطية ، ثم كمال افندى اللبان ، رحمه الله — وقد كان طالباً بالحقوق حينذاك — ويوسف افندى اللبان ، وعبد الفتاح كيرشاه ، وإبراهيم افندى مدكور . وسيد افندى نصار حجازى . والأخ محمد افندى الشرنوبى ، والإخوان المثقفون من الإخوان الحسافية بالقاهرة . . . كان هؤلاء جميعاً يتحدثون فى هذه الموضوعات ، وفى وجوب القيام بعمل إسلامى مضاد ، وكنا نجد فى ذلك ترويحاً عن النفس ، وتسليية عن هذا الهم !

كما كان ينفس عن نفسى كذلك التردد على المكتبة السلفية ، وكانت إذ ذاك قرب محكمة الاستئناف ، حيث نلقى الرجل المؤمن المجاهد العامل القوى العالم الفاضل والصحفى

الإسلامي القدير : ( السيد محب الدين الخطيب ) ، وملتقى بجمهرة من أعلام الفضلاء المعروفين بغيرتهم الإسلامية وحميتهم الدينية ، أمثال فضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد الحضر حسين ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، وأحمد باشا تيمور رحمه الله ، وعبد العزيز باشا محمد رحمه الله — وكان إذ ذاك مستشاراً بمحكمة الاستئناف — ونسمع منهم بعض ما ينفس عن النفس . كما كنا نتردد على دار العلوم ونحضر في بعض مجالس الأستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله ؛ ونلقى فيها الكثير من الأعلام والفضلاء كذلك ، أمثال الشيخ عبد العزيز الحولي رحمه الله ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد العدوي ، فتتذكر هذه الشئون أيضاً ؛ وكانت للسيد رشيد رحمه الله جولات قوية موفقة في رد هذا السكيد عن الإسلام .

### عمل إيجابي

ولكن هذا القدر لم يكن يكفي ولا يشفي ، وخصوصاً وقد اشتد التيار فعلاً ؛ وصرت أرقب هذين العسكرين فأجد معسكر الإباحية والتحلل في قوة وفتوة ، ومعسكر الإسلامية الفاضلة في تنقص وانكماش ؛ واشتد بي القلق حتى إنني لأذكر أنني قضيت نحواً من نصف رمضان هذا العام في حالة أرق شديد لا يجد النوم إلى جفني سبيلاً من شدة القلق والتفكير في هذه الحال ؛ فاعترمت أمراً إيجابياً وقلت في نفسي : لماذا لا أحمل هؤلاء القادة من المسلمين هذه التبعة ، وأدعوهم في قوة إلى أن يتكاتفوا على صد هذا التيار ؟ ، فإن استجابوا فذاك وإلا كان لنا شأن آخر . وصح العزم على هذا وبدأت التنفيذ .

### مع فضيلة الشيخ الدجوي

وكنت أقرأ للشيخ يوسف الدجوي — رحمه الله — كثيراً . وكان الرجل سمح الخلق حلوا الحديث صافي الروح . وبحكم النشأة الصوفية كانت بيني وبينه رحمه الله صلة روحية وعلمية تحملني على زيارته الفينة بعد الفينة ، بمنزله بقصر الشوق أو بعطفة الدويداري بحي الأزهر ، وكنت أعرف أن له صلات بكثير من رجال المعسكر الإسلامي من علماء أو وجهاء ، وأعرف أنهم يحبونه ويقدرونه . فعزمت على زيارته ومكاشفته بما في نفسي ، والاستعانة به على تحقيق هذه الفكرة والوصول إلى هذه الغاية . وزرته بعد الإفطار ؛ وكان حوله لفيف من العلماء وبعض الوجهاء ، ومن بينهم فاضل لأزال أذكر أن اسمه « أحمد بك كامل » وإن لم ألتق به بعد هذه المرة .

تحدثت إلى الشيخ في الأمر فأظهر الألم والأسف وأخذ يعدد مظاهر الداء والآثار السيئة المترتبة على انتشار هذه الظاهرة في الأمة ، وخلص من ذلك إلى ضعف المعسكر الإسلامي أمام هؤلاء المتأمرين عليه ، وكيف أن الأزهر حاول كثيراً أن يصد هذا التيار فلم يستطع ، وتطرق الحديث إلى جمعية ( نهضة الإسلام ) التي ألفها الشيخ ، هو ولقيف من العلماء ، ومع ذلك لم تجد شيئاً ، وإلى كفاح الأزهر ضد المبشرين والملحدين ، وإلى مؤتمر الأديان في اليابان ، ورسائل الإسلام التي ألفها فضيلته وبعث بها إليه ، وانتهى ذلك كله إلى أنه لافائدة من كل الجهود ، وحسب الإنسان أن يعمل لنفسه وأن ينجو بها من هذا البلاء . وأذكر أنه تمثل بهذا البيت ، الذي كان كثيراً ما يمثل به ، والذي كتبه لي في بعض بطاقاته في بعض المناسبات :

وما أبالي إذا نفسي تطاوعني على النجاة بمن قد مات أو هلك  
وأوصاني أن أعمل بقدر الاستطاعة وأدع النتائج لله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .

لم يعجبني طبعاً هذا القول ؛ وأخذتني فورة الحماسة ، وتمثل أمامي شبح الإخفاق المرعب إذا كان هذا الجواب سيكون جواب كل من ألقى من هؤلاء القادة . فقلت له في قوة : « إنني أخالفك ياسيدي كل المخالفة ، في هذا الذي تقول ، وأعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون ضعفاً فقط ، وعوداً عن العمل ، وهروباً من التبعات . من أي شيء تخافون ؟ من الحكومة أو الأزهر ؟ ... يكفيكم معاشكم واقعدوا في بيوتكم واعملوا للإسلام ، فالشعب معكم في الحقيقة لو واجهتموه لأنه شعب مسلم ، وقد عرفته في القهاوي ، وفي المساجد ، وفي الشوارع ، فرأيتة يفيض إيماناً ؛ ولكنه قوة مبهمة من هؤلاء الملحدين والإباحيين ، وجرائدكم ومجلاتكم لا قيام لها إلا في غفلتكم ، ولو تنهتكم لدخلوا ججورهم . يا أستاذ ! إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذي تأكلون ، فإنه إذا ضاع الإسلام في هذه الأمة ضاع الأزهر ، وضاع العلماء ، فلا تجدون مائتاً كلون ، ولا مائتفقون ؛ فدافعوا عن كيانتكم إن لم تدافعوا عن كيان الإسلام . واعملوا للدنيا إن لم تريدوا أن تعملوا للآخرة ، وإلا فقد ضاعت دنياكم وآخرتكم على السواء » .

وكننت أتكلم في حماسة وتأثر وشدة ، من قلب محترق مكلوم ؛ فانبرى بعض العلماء الجالسين يرد علي في قسوة كذلك ، ويتهمني بأنني أسأت إلى الشيخ وخاطبته بما لا يليق ، وأسأت إلى العلماء والأزهر ، وأسأت بذلك إلى الإسلام القوي العزيز ، والإسلام لا يضعف أبداً والله تكفل بنصره .

وقبل أن أرد عليه انبرى أحمد بك كامل هذا وقال : « لا يا أستاذ ، من فضلك هذا الشاب عنده حق ، ويجب أن تنهضوا ؛ وإلى متى هذا القعود ، وهذا الشاب لا يريد منكم إلا الاجتماع لنصرة الإسلام . وإن كنتم تريدون مكاناً يجتمعون فيه فهذه دارى تحت تصرفكم افعلوا بها ما تريدون ، وإن كنتم تريدون مالاً فلن نعدم المحسنين من المسلمين . ولكن أنتم القادة فسيروا ونحن وراءكم ، أما هذه الحجج فلم تعد تنفع بشيء » . هنا سألت جارى عن هذا الرجل المؤمن : من هو ؟ فذكر لى اسمه . وما زال عالقا بذهنى ولم أره بعد . وانقسم المجلس إلى فريقين فريق يؤيد رأى الأستاذ العالم وفريق يؤيد رأى أحمد بك كامل ، والشيخ رحمه الله ساكت . ثم بدا له أن ينهى هذا الأمر فقال : على كل حال نسأل الله أن يوفقنا للعمل بما يرضيه . ولا شك أن المقاصد كلها متجهة إلى العمل ، والأمور بيد الله . وأظننا الآن على موعد مع الشيخ محمد سعد فهيا لنزوره .

وانتقلنا جميعا إلى منزل الشيخ محمد سعد وهو قريب من منزل الدجوى رحمه الله وتحريت أن يكون مجلسى بجوار الشيخ الدجوى مباشرة لاستطيع الحديث فيما أريد . ودعا الشيخ محمد سعد محمد بخلويات رمضان فقدمت وتقدم الشيخ ليا كل فدنوت منه فلما شعر بى بجواره سأل : من هذا ؟ فقلت : فلان . فقال : أنت جئت معنا أيضاً ؟ فقلت : نعم ياسيدى وسوف لا أفارقكم إلا إذا انتهينا إلى أمر . فأخذ ييده مجموعة من النقل وناولنيها وقال : خذ وإن شاء الله تفكر ، فقلت : ياسبحان الله ياسيدى ! إن الأمر لا يحتمل تفكيراً ، ولكن يتطلب عملاً ، ولو كانت رغبتى فى هذا النقل وأمثاله لاستطعت أن أشتري بقرش وأظل فى منزلى ، ولا أتكلف مشقة زيارتكم . ياسيدى إن الإسلام يحارب هذه الحرب العنيفة القاسية ، ورجاله وحماته وأئمة المسلمين يقضون الأوقات غارقين فى هذا النعيم ! أنظنون أن الله لا يحاسبكم على هذا الذى تصنعون ؟ إن كنتم تعلمون للإسلام أئمة غيركم وحملات غيركم فدلوني عليهم لأذهب اليهم ؛ لعلى أجد عندهم ما ليس عندهم !! وسادت لحظة صمت عجيبة ؛ وفاضت عينا الشيخ رحمه الله بدمع غزير بلل لحيته ، وبكى بعض من حضر . وقطع الشيخ رحمه الله هذا الصمت بأن قال فى حزن عميق وفى تأثر بالغ : وماذا أصنع يا فلان ؟ فقلت : ياسيدى الأمر يسير ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها . لا أريد إلا أن تحصر أسماء من تتوسم فيهم الغيرة على الدين من ذوى العلم والوجاهة والمنزلة ؛ ليفكروا فيما يجب أن يعملوه : يصدرون ولو مجلة أسبوعية أمام جرائد الإلحاد والاباحية ، ويكتبون ردوداً وكتباً على هذه



الكتب ، ويؤلفون جمعيات يأوى إليها الشباب ، وينشطون حركة الوعظ والإرشاد . . . وهكذا من هذه الأعمال . فقال : جميل . وأمر برفع ( المصنية ) بما عليها ، وإحضار ورقة وقلم . وقال : اكتب . وأخذنا نتذكر الأسماء ، فكتبنا فريقاً كبيراً من العلماء الأجلاء أذكر منهم : الشيخ رحمه الله ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحضر حسين ، والشيخ عبد العزيز جاويز ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيخ محمد الحضري ، والشيخ محمد أحمد إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز الحولى رحمهم الله .

وجاء اسم السيد محمد رشيد رضا ، رحمه الله . فقال الشيخ : اكتبوه اكتبوه فإن الأمر ليس أمراً فرعياً يختلف فيه ، ولكنه أمر إسلام وكفر والشيخ رشيد خير من يدافع بقله وعلمه ومجلته . وكانت هذه شهادة طيبة من الشيخ للسيد رشيد ، رحمهما الله ، مع ما كان بينهما من خلاف فى رأى حول بعض الشئون . وكان من الوجهاء : أحمد باشا تيمور ، ونسيم باشا ، وأبو بكر يحيى باشا ، ومتولى بك غنيم ، وعبد العزيز بك محمد — وهو عبد العزيز باشا محمد الآن — وعبد الحميد بك سعيد رحمهم الله جميعاً ، وكثيرون غير هؤلاء .

ثم قال الشيخ : وإذن فعليك أن تمر على من تعرف ، وأمر على من أعرف ، ونلتقى بعد أسبوع إن شاء الله .

التقينا مرات ، وتكونت نواة طيبة من هؤلاء الفضلاء ، وواصلت اجتماعها بعد عيد الفطر ، وأعقب ذلك أن ظهرت مجلة « الفتح » الإسلامية القوية ، برأس تحريرها الشيخ عبد الباقي سرور نعيم رحمه الله ، ومديرها السيد محب الدين الخطيب ، ثم آل تحريرها وإدارتها إليه ، فنهض بها خير نهوض ، وكانت مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الإسلام المثقف الغيور .

وظلت هذه النخبة المباركة من الفضلاء تعمل حتى بعد أن فارقت دار العلوم ، وظل يحركها نفر من هذا الشباب الخالص حتى كانت هذه الحركات « جمعية الشبان المسلمين » فيما بعد . . . »

آفة النصيح

لك نصحى وما عليك جدالى آفة النصح أن يكون جدالا  
شوقى

# من أعظم حاجات هذه الأمة

لسماحة السيد أبي الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

إن أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للنافقين ولعبة للماشيين هو فقدان الوعي فيها ، واقتنائها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجّه ، وخضوعها لكل متسلط ، وسكوتها على كل فظيعة ، وأن لاتعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها ، ولا تميز بين الصديق والعدو ، وبين الناصح والغاش ، وأن تلدغ بحجر مرة بعد مرة ، ولا تنصحبها الحوادث ولا تروّعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولى قيادتها من جربت عليه الغش والخديعة والحيانة والأثرة والأنانية ، ولا تزال تضع ثقها فيه وتمسكه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها وتنسى سريعاً ملاقت على يده من الخسائر والنكبات ، فيجتريء بذلك السياسيون المحترفون ، والقادة الحائنون ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها ، ويتنادون في غيهم ويسترسلون في خياناتهم وعبثهم ، ثقة ببلادة الأمة وسذاجة الشعب ، وفقدان الوعي .

إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية مع الأسف ضعيفة الوعي — إذا تخرجنا أن نقول فاقدة الوعي — فهي لاتعرف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملهما معاملة سواء ، أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح ، وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، ولا تزال تلدغ بحجر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب ، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان ، تنسى ماضى الزعماء والقادة ، وتنسى الحوادث القريبة ، وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي ، الاجتماعى وأضعف في الوعي السياسى ؛ وذلك ماجر عليها ويلاً عظيماً وشقاء كبيراً وسلط عليها القيادة الزائفة وفضحها في كل معركة .

وإن الأمم الأوروبية — رغم إفلاسها في الروح والأخلاق ، ورغم عيوبها الكثيرة التى بحثنا عنها فى كتابنا « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » قوية الوعي : الوعي المدنى والسياسى — قد بلغت سن الرشد فى السياسة ، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها

وتميز بين الناصح والحادع ، وبين الخالص والمنافق ، وبين الكفء والعاجز ؛ فلا تولى قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء ، ثم لا توليهم أمورهم إلا على حذر ، فإذا رأت منهم عجزاً أو خيانة ، أو رأت أنهم مثلاً دورهم وانتهوا من أمرهم ، استغنت عنهم وأبدلت بهم رجالاً أقوى منهم وأعظم كفاءة ، وأجدر بالموقف ، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع وأعمالهم الجليلة وانتصارهم في حرب أو نجاحهم في قضية ؛ وبذلك أمنت السياسيين المحترفين والقيادة الضعيفة أو الخائنة ، وخوف ذلك الزعماء ورجال الحكم فكانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأي العام .

فمن أعظم ما نخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسى التي لا تسكاد تنتهي هو إيجاد الوعي في طبقاتها ودهانها وتربية الجماهير العقلية والمدنية والسياسية ، ولا يخفى أن الوعي غير فشور التعليم وزوال الأمية ، وإن كان العلم من أنجع وسائل هذا الوعي ، وليعرف الزعماء السياسيون والقادة أن الأمة التي يعوزها الوعي غير جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح وإن أطرت الزعامة والزعماء وقدستهم ، فإنها مادامت ضعيفة في الوعي عرضة لكل دعاية وتهريج ، وهي كريشة في فلاة تلعب بها الرياح ، ولا تستقر في مكان .

إن الإسلام مع أنه دين منزل من السماء وقائم على الوحي والنبوة قد اعتنى بإيجاد وعي خاص : هو الوعي الإسلامى الذى هو أكمل أنواع الوعي وأعمقها ، وقد كون في أتباعه عقلية خاصة تختلف عن عقلية الجاهلية كل الاختلاف ، وهى عقلية ناضجة محتمة شديدة الغيرة لا تقبل — على مرونها واتساعها — ما لا يتفق مع مسلماتها وما آمنت به من عقائد ومبادئ ولا تسخج جسماً غريباً عنها .

ومن أمثلة هذا الوعي أن الصحابة رضى الله عنهم آمنوا بفضل الإسلام وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الظلم قبيح وأنه جريمة دينية وخلقية ، وأنه لا يحل لأحد ولا يحل مع أحد ، وآمنوا بالعدل والشهادة بالقسط على القريب والبعيد ، وكفروا بالحمية الجاهلية والعصبية القومية والقبلية والعشائرية وعرفوا أنه لا يحل في الإسلام ولا مسوغ لهذه العصبية العمياء ، وأن المسلم لا بد أن يدور مع الحق ، كل ذلك عرفوه واعتقدوه وأحبوه حتى صار جزءاً من عقيدتهم وطبيعتهم وعقليتهم .

وإذا بهم يوماً من الأيام يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم الذى « لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » يقول « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فلو كانوا

مضطربين في عقليتهم أو عقيدتهم لسكنوا وأخذوا بهذا القول على مدلوله الجاهلي الذي عرفوه ونشئوا عليه ، ولكن الكلمة صدمت عقليتهم الإسلامية المؤمنة ونزلت عليها كاصاغة وكانت مفاجأة شديدة لأنها صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبغض الظلم ويعمره في جميع أشكاله ، فتألمت عقليتهم وحارت في فهمها ، فلا يمنعه إجلال النبي صلى الله عليه وسلم أن يراجعوه ويقولوا له : « ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ » ويفسر النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله تفسيراً إسلامياً يتفق مع عقليتهم ونفسياتهم الإسلامية وهو أن معنى نصر الأخ الظالم هو كفه عن الظلم ، والأخذ على يده ؛ فيطمثون .

وهذا مثال للوعى الإسلامى الذى أوجده الإسلام وأحكمه محمد عليه الصلاة والسلام حتى صعب على أهله الانفصال عنه إلا بيينة وعلى بصيرة .

ومن أمثلة هذه التربية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّر على سرية أحد أصحابه وأوصى أصحابه بطاعة القائد ، وقد حدث أن هذا الأمير أغضبه شيء في هذه الرحلة فأمر بالنار فأوقدت ، ثم أمر أصحابه باقتحامها فأبوا ، وقالوا إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً عن النار أفندخلها ؟ وماذا لك إلا بإيمانهم بمبدأ « لاطاعة للخلق في معصية الخالق » « وإِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ » ورسوخه في قلوبهم ، وقد آمنوا بفضل الوعى الإسلامى والتربية الإسلامية بأنه لا فضل لرئيس على مرءوس في بيت المال ، وليس له أن يستأثر بأموال المسلمين ويخص نفسه بشيء من ذلك ، ورسوخ ذلك في أذهانهم ويصبح عقيدة وطبيعة فلا يمنعه من أن يصدعوا بذلك هيبة ولا إجلال : يقوم عمر رضى الله عنه خطيباً وعليه حلة — والحلة ثوبان — فيقول أيها الناس ألا تسمعون ؟ فيقول سلمان رحمه الله لا نسمع ! فيقول عمر ولم يا أبا عبد الله ؟ يقول إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة ، فيقول لا تعجل يا أبا عبد الله ثم ينادى عبد الله فلا يجيبه أحد فيقول يا عبد الله ابن عمر ! فيقول لبيك يا أمير المؤمنين ! قال آثوب الذى اتزرت فيه هو ثوبك ؟ قال اللهم نعم ، فيقول سلمان : الآن فقل نسمع .

وكانت نتيجة هذا الوعى الإسلامى والتربية الإسلامية أن المسلمين لم يحتملوا الحكم الأموى الملكى إلا بمشقة وجهد ونارت الروح الإسلامية مراراً ضد هذا الحكم وهذه الملوكية العربية وقاومتها مقاومة شديدة ، ولم يستقم للأمويين الحكم حتى انقرض هذا الجيل الذى نشأ على البادىء الإسلامية وأحب الخلافة ومنهجها في الحكم .

بل وتقدم خطوة وتقول : إنه لم يتم إصلاح ما ، ولا أى ثورة أو انقلاب في المجتمع



إلا على أساس الوعى ، وتكوّن عقلية خاصة تناسب ذلك الإصلاح أو تلك الثورة ،  
ونضرب لذلك مثلاً بالثورة الفرنسية — وإن كان ذكر الثورة الفرنسية مع الإسلام  
إساءة أدب معه — فقد كانت ثورة محدودة قاصرة لا تخلو من التهور ومن الطيش ،  
ولكنها تصلح — على علاقتها — أن تكون دليلاً نقول ، فقد عنى رجالها وقادتها  
— وفيهم كثير من الأدباء والمؤلفين وأهل المواهب والنبوغ ممن أوتوا البراعة والبلاغة  
والنفوذ فى المجتمع والآداب — عنى هؤلاء بإيجاد الوعى الخاص الذى تقوم عليه هذه  
الثورة فملأوا النفوس سخطاً على الأوضاع القائمة فى البلاد ، وكرهية للقائمين عليها ،  
والمدافعين عنها من رجال الحكم وحاشيتهم وأنصارهم ، وأحدثوا ثورة فى النفوس  
— ضد القيم الخلقية ومفاهيمها القديمة وضد النظام السياسى — قبل أن يحدثوها  
فى الخارج حتى أصبح الحكم الشخصى غير محتمل وأصبح لا يطاق ، وأصبحت كلمات  
« الحرية ، الإخاء ، المساواة » كلمات حبيبة مقدسة يتغنى بها كل فرنسى ويدين بها ،  
وهنا اندفعت هذه الثورة وانفجر بركانها وانهار صرح المجتمع القديم ، وكان ما أراد  
قادة هذه الثورة ، وإن لم يحسنوا الانتفاع بهذا الانقلاب وتوجيهه واستعماله فى صالح  
الإنسانية لأن الهدم أيسر من البناء ، والبناء يتطلب أشياء كثيرة لم يكن قادة هذه  
الحركة يملكونها ، بل ولا يعرفونها .

وعلى كل فقد شاهد العالم قوة الوعى وانفجاره ، وعرف كيف يقهر الوعى — إذا  
حصل فى أمة — القوى الجبارة ، وبذلك الصروح المشيدة .

إن الذى يمسك أوروبا اليوم — رغم العمل الكثيرة التى لاتعيش معها أمة ولا يبقى  
معها ملك — هو الوعى المدنى والسياسى فلا نرى فى الأمم الكبيرة — كالإنجليز  
والأمريكان مثلاً — من يخون أمته ويبيع بلاده بشمن بخس دراهم معدودة ، وحتى  
من يفشى أسرار الدولة — من الوزراء والمسؤولين — أو من يتهم بشراء الأسلحة  
الفاسدة إلا النادر الذى هو فى حكم المعدوم . إن الفساد الخلقى الذى استشرى فى أوروبا ،  
والذى نتحدث به فى كتبنا ومقالاتنا هو منحصر فى الدائرة الشخصية أو فى مصلحة  
الأمة والبلاد ، ولا مسوغ له فى الإسلام أبداً ؛ بل هو فى نظره جريمة كبرى وحشية  
جاهلية ؛ ولكنه سائق ومحمود فى شريعة أوروبا الخلقية والسياسية .

أما الشعوب الإسلامية فلا يستغرب من قادتها وولاة الأمر فيها أن يرهن بعضهم  
بلاده يوماً فى سبيل شهوة أو طمع ، وأن يبيع أمته كالغنم والخراف ، وأن يحشر أمته  
إلى ميدان حرب لاتجسس للقتال فيه ولا تستحله — ككوريا مثلاً — أو يجازف  
بمقدساته ودينه وحرية بلاده وكرامتها فى سبيل مصلحة مالية أو شهوة بدنية ، وأغرب  
من هذا كله ، وأدعى للعجب أن الأمة تطيع هؤلاء فى جميع تصرفاتهم ، بل تهتف

بحياتهم ، وتسير في ركابهم وتسبح لهم بكرة وعشيا ، إن دل هذا على شيء فإنه يدل على فقدان الوعي ، وموت الضمير ، وخوائه ، وإفلاس في العقل والخلق .

إنه لا يزال في الشرق الإسلامي شعوب وجماهير تمتص دماؤها ويحلب ضرعها ويحز صوفها ، ويُعبث بأموالها في سبيل الشهوات والبهيمية النازلة ويجهل أبناؤها ويحجّج شبانها ، ويعامل أفرادها معاملة الدواب ، ثم تسكت على كل هذا ، بل تمهد لهم السبيل وتتغنى بمدائحهم .

ولا يزال في الشرق الإسلامي جماعات مسلمة يعصى الله في أرضها وتوثى المنكرات والموبقات ويداس الشرع الإسلامي وتهان شعائره ويتعدى حدود الله ، ثم لا يحرك ذلك منها ساكناً ، ولا يثور قلباً .

إن كل ذلك نتيجة فقدان الغيرة الإنسانية والحمية الإسلامية .

إنه لا قيمة لانقلاب وثورة — مهما كانت في صالح الأمة — إذا لم يكن دافعها عقيدة متينة وفكرة راسخة ولم يصحبها وعى عاقل رشيد ، إنه لا عبرة بإجلاء ملك أو سقوط دولة أو وزارة إذا لم يكن الرأي العام متنبهاً لذلك ، وإذا لم تكن الأمة مصممة على إجلاء هذا الملك والتخلص من هذه الدولة أو الوزارة أو إقصاء هذا الوزير أو الموظف الذي جربت عليه خيانة أو جرعة ، ولم يكن ذلك على بصيرة وفهم ووعى . فإذا لم يكن الرأي العام متنبهاً لهذا الانقلاب ، وإذا لم تكن هذه الأمة مصممة على التخلص من هذه الأوضاع الفاسدة أو شك أن تعود هذه الأوضاع أو يعود أولئك الرجال من حيث تشعر هذه الأمة ومن حيث لا تشعر ؛ وكما كان ذلك في التاريخ .

إذن فمن أعظم حاجات هذه الأمة ، وما يجب أن يعنى به قادتها وزعمائها ورجال الإصلاح والتربية هو إيجاد الوعي وتكوين العقلية الصحيحة وإيقاظ الضمير وبعث الشعور الديني والمدني والسياسي حتى تصبح تميز بين أصدقائها وأعدائها ، وما يصلحها وما يفسدها ، وتعرف متى ترضى ومتى تغضب ، وتقدر أن تعطي وأن تسلب ، وتستطيع أن تحاسب وأن تعاقب ، وأن تولى وأن تعزل ، لا يفلت المجرم من سخطها وعقوبتها ، ولا يحرم الخالص من شكرها وتقديرها ، هنالك لا يستطيع أحد أن يعبت بأموالها ويستأثر بمواردها ، أو يستهتر في بلادها ، أو يضحك عليها ، أو يرزأها في شرفها وأعراضها وكرامتها ؛ لأنها أمة واعية مستيقظة ساهرة قد بلغت سن الرشد واستكملت الرجولة والعقل .

إن الأمة لنى خطر دائم — مهما كانت مظاهرها الدينية وعواطفها النائرة —

مالم يوجد فيها الوعي الصحيح ؛ فليعتن بإيجاد هذا الوعي كل من يحرص على صلاح هذه الأمة وسعادتها ، وليجعل ذلك في مقدمة ما يجاهد في سبيله ؟

# ميراث من المشكلات !

لأبي نعمان المهاجر

مسكينة هذه الأجيال الإسلامية الراهنة التي كتُب عليها أن تأتي في هذه الفترة الانتقالية بين ماضى الإسلام ومستقبله ، وبين حضارته وحضارة العصر الحديث ؛ ذلك لأن عليها أن تنجح في التوفيق بين طبيعة الماضى والحاضر ، وفي خلق الانسجام بين الروح الإسلامية والتيارات العلمية العصرية ، وعليها قبل ذلك عبء من أشد الأعباء خطراً هو أن تستطيع الاحتفاظ لنفسها ببصيرة النقد الصحيح أثناء الموازنة بين تراثها الضائع المغمور الذي نسيته الأيام ، وتراث العصر الحديث الذي يأخذ بألبابنا ويستولى على أسماعنا وأبصارنا صباح مساء !

وإنما كان هذا عبئاً ثقيلاً خطيراً لأن حجة الماضى الضائع المهزوم حجة ضائعة مهزومة في نظر النفوس الضعيفة المائعة ، وحجة الحاضر الظافر قائمة إلى جانبه منتصرة ظافرة ، وهذا هو الخطر الماحق الساحق ، ذلك لأن الحضارة الغربية التي غلبت المسلمين على أمرهم في عهدهم الراهن لم ينحصر شرها ووبالها في التسلط على حاضر المسلمين وقهرهم واستعبادهم ، وفرض الشقاء عليهم ؛ وإنما امتد ذلك الوبال أو الشر إلى ماضيهم فأعلن عليه الحرب وسدد إليه المكائد ، وأجلب عليه بعلومه ومخترعاته ، وبمدارسه وكنائسه ، ومؤلفاته وصحفه ، ومبشرينه ومستعمريه ، حتى استطاع أن يبيث الشك في نفوس الأجيال الإسلامية الناشئة عن قيمته وصلاحيته لعلاج مشاكلهم الراهنة وبناء حياتهم المستقبلية ، فأصبحنا نرى قادة المسلمين اليوم يبحثون عن كل وسيلة من وسائل الإنقاذ لشعوبهم مما هي فيه ، فيذهبون إلى الغرب والشرق ، ويناشدون كل من هب ودب ، ويستجدون الإصلاح من المفسدين ، والرشاد من المضلين ، ويستجيرون من الرمضاء بالنار ، ويشكون إلى الطامعين فيهم شكوى الجريح إلى الغربان والرخم ، ثم لا يخطر ببالهم في أثناء هذا البحث الملح أن يرجعوا إلى أنفسهم وإلى ما خلفه ماضيهم ، وإلى ما اختصهم رحمة الله به من شريعة خالدة تصلح أمر دينهم ودنياهم ، كأن ذلك الحدث الضخم الذي شغل الدنيا كلها مئات السنين ، وغير فيها وبدل ، وصنع لها الحضارات إن هو إلا حدث تافه صغير لا يستحق الاهتمام ، ولا يستلفت النظر ، ولا يقتضى منا حق مجرد البحث والتساؤل والتجربة .

لقد كان على قادة المسلمين أن يتصوروا مشا كلهم بأعين بصيرة ، وأن يلتزموا لها العلاج بإرادة مصممة حرة ؛ فإن أمامهم ميراثا ثقيلا من القيود والأغلال يجب أن يتحطم ويزول .

إن الوثبة الإسلامية الأولى التي اكتسحت شطر العالم في وقت قصير ، والتي خلقت مجد الإسلام وعلمت الإنسانية مثلها العالية قد خلفت بعدها عصورا من التأخر والتقهقر والانعطاط ، تسلمنا عنها الإسلام مشوها بمسوخا ، وتسلمنا تأريخ أسلافنا في تلك العصور المتأخرة ، فلم نجد فيه ما يشفي الغلة ويعالج العلة ، ويقوم في وجه المشاكل الحاضرة ، وتسلمنا حطام تلك العصور في أنفسنا وفي طباعنا وفي أجيالنا : خورا في العزائم ، وفسادا في الأخلاق ، وخرابا في الدم ، وشتانا في كل جماعة ، وفرقة في كل شعب ، وزاعا على كل قضية ، وانبعث الأهواء الملقنة والأغراض المتسترة ، والشهوات المناققة ، تزيف المبادئ وتؤلف الأحزاب ، وتنشئ الصحف ، وتبني الحكومات وتهدمها ، وتقيم الدنيا وتقعدها ؛ وهي في كل ذلك تضلل الشعوب البريثة ، وتخداع الجماهير الساذجة !

تسلمنا عنها شعوبا مبعثرة ممزقة ، وأوطانا محتلة ، وحقوقا مغتصبة ، وملايين من البشر مستعبدة مقيدة ، يساوم فيها من لا يملكها ، ويشتريها من لا يرحمها ، ويبيعهما من لا يعطيها من ثمنها شروى تغير !

تسلمنا عنها أجيالا حائرة عمياء ، يعلمها الدجالون ، ويربها المظللون ، ومحكمها الجبارون ، ويطعمها الجزارون ، تدافع عن حماها الذئاب ، وتداوى جراحها الحراب ، وهي في كل ذلك صابرة خائفة ، تتبع كل ناعق ولو ذهب بها إلى داهية ، وتسير مع كل ريح وإن هبت بها إلى هاوية .

تسلمنا عنها قضايا متعددة ، ومشاكل معقدة ، وجراحا مزمنة ، وأمراضا متوطنة ، ورقابا مرتنهة ، تخنقها قبضة الاستعمار البغيض ، وتمتصها شهوة الاستغلال الفظيع ؛ فهي بينهما كمزعة من لحم بين شقي مقراض لا تدرى أيهما أشد عليها نكالا ، وأقطع وبالا ، وأسرع إبغالا . !

تسلمنا كل هذا ، وما هو أكثر من هذا ، قاسينا كل هذه التجارب ، وذقنا كل هذه الويلات ، وتجرعنا كل هذا البلاء فما أرشدنا ذلك من ضلال ، وما بلغنا إلى حق ، ولا ردنا إلى نهج مستقيم ؛ كأنما يعيننا الله سبحانه وتعالى بقوله : « ولقد أخذناهم



بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ، حق إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه ملبسون .

وتسلنا عنها مجموعة هائلة من الحرافات والأضاليل دسها أعداء الإسلام عليه ، فحشوا بها المؤلفات وغشوا بها العقائد ، وضلوا بها الجماهير ، وشوهوا بها روح الإسلام ، وقضوا على ما فيه من أسباب القوة ؛ فصار الإسلام غير ما كان ، وأصبح المسلمون به غير من كانوا ، وبذلك قامت في وجوه المصلحين معضلة كبرى يصعب التغلب عليها ، لأنهم إذا أرادوا أن يحملوا الجماهير على جوهر الدين الصحيح ، لم تتحمل ذلك منهم ولم تقبله لأن الدين عندها مجموعة تلك الرواسب الاعتقادية التي خلفتها عصور الانحطاط ، فلم تعد تفهم من جهاد المصلحين وكفاح المجدين إلا أنه هدم للإسلام وتخريف فيه وافتيات عليه . . . .

ومما يضاعف محنة الإسلام ويمد في عمرها أن كثيرا من القوى التي تملك التصرف بمصائر الشعوب الإسلامية لا تكاد تطبق الإسلام إلا إذا بقى على النحو الذي تفهمه الجماهير : مخدرا للأعصاب . ومنوما للعزائم ، وأغلا لا تصفد به العقول والقلوب ، وأفيونا تقتل به الأمم والشعوب ، فإذا مارأوا أن الإسلام قد يتحول على أيدي رجاله الأبرار إلى قوة حقيقية ارتاعوا منه وحاربوه ، وأظهروا من الشجاعة ما لو أظهروه في ميادين الكفاح المقدس لما غلبهم غالب ، ولا افتات على حقهم غاصب .

عجبت لمن له حدٌّ وقَدٌّ وينبو نبوة القَضم الكَهَم  
ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئا كَنَقصِ القادرين على التمام

# وحدة الدين والحياة

لمعالى الأستاذ الدكتور اشتياق حسين قرشي

وزير الباكستان لشئون الدعاية

نقلها إلى العربية الأستاذ سالم علي سالم

السلام مخلص الأديان، جميعاً :

خلق الله في الإنسان عقلاً توافق لا كتناء مافوق الوجود المادى ، ولولا هذه الصفة فيه لما كان هناك فارق كبير بينه وبين عقلية الحيوان . ويضع الإنسان نصب عينيه مثلاً أعلى يسعى إليه ، وما الدين يصفهم القرآن بأنهم تائهون « في الظلمات » إلا أولئك الذين يصدفون عن المثل العليا . والعلاقة بين الفكر والعمل ثابتة مقررة ، ولذلك فإنه من الخير أن نقف بين آن وآخر لتتساءل إن كنا نفقه الفكرة التي جعلنا منها مثلنا الأعلى .

إن من الضروري حتى نفهم الفكرة الإسلامية أن نعرف الظروف التي اكتنفت الدعوة إليها أول مرة . لقد كانت الجاهلية من أخطأ ما عرف في تاريخ الحضارة الإنسانية ، إذ كان الناس فيها منغمسين في الرذيلة : يقتربون الوأد والقتل والغزو والميسر والنهب وغير ذلك من الرذائل والنقائص . ولقد سجل المؤرخون وصفا صادقا للمجتمع كما ألفاه محمد صلى الله عليه وسلم ، يعززه بقايا الشعر العربي الذي أثر عن تلك الفترة ؛ إذ يصف على العموم مواقف لغراميات مفحشة ، أو يصور مغامرات وحشية ضارية .

إلى هذه البلاد ، وفي هذه الظروف ، بعث رسول الله يدعو إلى طريق الحياة الجديدة . لقد كان أمياً ، وكانت نشأته ثورة على أفكار المجتمع العربي تحرر فيها من تأثير المحيط ، ولذلك كان تفكيره حين البعثة مستقلاً عن مآثور الكتابات السالفة . إنه لم يكن له أن يبدأ بأفكار سابقة ، بل كان عليه أن يعالج مشكلات المجتمع بتفكير جديد . إن آدمياً وحيداً بمفرده لم يكن يستطيع إصلاح جماعة بلغت هذا الشأو من الفساد ، غير أن الله برحمته العظمى ورأفته بالناس أظهر الحق في رسوله فاختره ليكون وسيلة لإظهار معجزته لافى إصلاح العرب حتى يكونوا رواد الحضارة

الإنسانية وحسب ، بل لوضع الشريعة الخالدة للحياة التقدمية السليمة .

إن هذه المعجزة الكبرى لم تتحقق بنزول الحقائق التي سبقتها بل بتركيزها ، إذ ليس الإسلام ديناً جديداً ، وما تعاليمه إلا " جماع رسالات الأنبياء في كل زمان ومكان ؛ والإسلام إنما أحال الشكل العارض الخصوص للحكمة الدينية إلى فكرة عامة خالدة ، فليس في الإسلام دعوة إلى هجر الحقائق السالفة ، بل تذكرة بوجود تجريدها من الشوائب التي شوهاها بها خيال الإنسان وهواه وقصور إدراكه . لقد كان محمد خاتم النبيين ولم يكن الإسلام أحدث الأديان ، وإنما القضية منطقية أن يوحد النبي الأخير الأديان التي جاء بها النبيون قبله .

الربحمان بالله عند المسلم .

إن حبر الزاوية في هذه الرسالة الإيمان الحى بالله ، ولقد شاع وصف الإسلام بأنه دين التوحيد ، غير أنه لم يعم الفهم بأن التوحيد يقتضى خضوعاً كلياً . إن الصلاة الشفهية لله الواحد الأحد لا تجزى ؛ فإن عقيدة المسلم يجب أن تعنى أن ليس هناك رغبة أو رهبة تستطيع اختلاجه لعبادة آلهة باطلة ، وهذه لا يفترض أن تكون أصناماً نصبها الأيدي البشرية فإنها لا تستهوى الأذهان الذكية . إن أخطر ما يشرك بالله هو هوى النفس الحبيث ؛ وما عبادة الأوثان الحجرية أو المعدنية إلا مظاهر لحرافات الجهالة ؛ أما مطالب الضعف والרגائب فإنها قوى هائلة قد تنال نصيباً من ولائنا . والتوجه لله وحده لا شريك له هو في الواقع التوحيد الحق ؛ فلا طموح ولا خوف ولا إغراء يستطيع أن يفتننا عن التوجه الكامل لله رب العالمين .

إن هذا الخضوع التام لله تعالى لا يشترط له ترك الحياة الدنيا ، فإن المسلم لا يستطيع أن يكون « غير أرضى » ؛ ويجب ألا تكون نظرتك إلى الدنيا نظرة ازدراء ؛ بل ربما كان احتقارها انتقاماً من احترام الخالق جل وعلا ؛ وقد خلق الإنسان فيها فعليه أن يستفيد وسعه منها . ونهج الإسلام يفضى بالرجل إلى الاتزان الذي لا يغفل أية ناحية من نواحي الحياة ؛ واعتزال الناس نكسة يعمل الإسلام للبراء منها ؛ وربما كان المقتر والنهم سواء بانحرافهما عن سواء الإسلام ؛ وكذلك في الجهل الهلاك كما هو في الانحطاط الروحي ، وعلى كل مسلم أن يهدف إلى بناء مجتمع يتجمع أفراداه بصحة البدن وسلامة الحس ويقظة الروح حتى يقدم رجالاً كالخليفة العظيم على ، الذي كان

متصوفا عظيما كما يقرر الصوفيون ، ومحاربا شجاعا كما يروى التاريخ ، وشاهراً فيلسوفاً كما تدل آثاره ، ورجل دولة تلمس مشورته ويحترم رأيه في جبر الدولة الإسلامية .

### المعنى النسبي في الإسلام

إن هذه النظرة المترنة إلى الحياة هي النتيجة المباشرة للمعنى النسبي الذي أوجده في المجتمع تعاليم الإسلام ، وذلك المعنى يبدو واضحاً لا في نمو الفرد وتطوره فحسب ، بل في نظرته إلى العالم أيضاً ؛ فالعنى والقوة هنا تأخذان معنى جديداً ، فيه تكونان للإنسان وسائل للعبادة أكثر منهما وسائل تنزع بالإنسانية إلى التحول أو الاعتداد بالقوة والجاه والثروة ، وهذه الروح في الإسلام هي التي تهيب للاشتراكية ، لتجد فيه الغناء ، فنظم الوراثة فيه والزكاة — الجباية الإجبارية من رأس المال — وشعور المساواة العميق للتأصل ، ومثله العليا في العبادة والمحبة والرحمة ، كل ذلك من شأنه العمل لإزالة الفوارق بين الناس سواء في الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد .

إن الإسلام لا يمكن أن يقارن بالرأسمالية فهو ينظر إليها بفزع شديد ، وكذلك يخالف الشيوعية لأنه لا يسيغ المادية الصماء . إن في الإسلام تقديراً للقيم واحتراماً للشخصية الفردية ؛ فلا يجيز الفكرة التي ترى الإنسان قطعة آلية في الجهاز الاقتصادي لأنه لا يغفل أشواق الإنسان الروحية ومطالب مثله العليا ، كما أنه لا يجيز مجتمعاً يُستغل فيه أحد أو يستحكم فيه التفاوت بين الطبقات فيرفل بعضها في النعيم ويهلك بعضها سغباً . إن الجوع وصمة شنيعة في نظر الإسلام ، وهو إذ يدعو لتكافؤ الفرص والحد من تجمع الثروات — لأن من رسالته رفع الحاجة والشقاء — لا يقصر جهده على إشتباع المعدة ، ولكنه يهيب جميع حاجات الإنسان ، وهو يعتبر المساواة الاقتصادية والاجتماعية أساساً للحياة السعيدة ، وما الرخاء المادى فيه إلا القواعد التي عليها يقام بناء الشخصية الإنسانية .

### واجب المسلم :

إن تكون الصفات والنوازع المختلفة التي تميز الشخصية في الإنسان هي نتيجة وحدة الإرادة الحاصلة من التوجه الكلى لله ، لأن الإسلام ليس صلاة شفعية وحسب ؛ إنه خضوع تام إلى مصدر المثل العليا جميعاً ، وفيه وحدة مركزية بكل معنى الكلمة ، وجميع الأحاسيس والأعمال البشرية متعلق بعبادة الله ، وبذا تكون الحياة عبادة مستمرة لا تتوقف أبداً . هذه النظرة إلى الحياة تغير كنهها ؛ فصفت الأناية

وجب السيطرة والتسخير والطمع كلها تُزال كالحث بهذه العاطفة المستفرقة . وهذا التطهير في الحلق يعبر نظرة المسلم إلى الدنيا ، فالمسكية والوطنية والحدود الجغرافية والحصومات العامة ، كلها تبدو كاسفة أمام إشعاع الإسلام القوي . إن المسلم لا يعرف غير رباط واحد هو رباط الفكرة العامة ، وكل من يؤازره في الصراع لإيجاد عالم أفضل فهو زميل في المعركة . إنه يعرف منظمة واحدة فقط هي أمة الحق : قوم جعلوا رباطهم فيما بينهم التوجه إلى الله لتخليص الدنيا من الظلم والتعصب والتفاوت بين البشر .

إن حياة المسلم يجب أن تكون جهاداً متواصلاً ومحاولة لا تقي ، تعمل لنفي الفساد من الأرض . وهذه الروح في حياة المسلم قد شوّهت بالدعاة الأديان المتحاملين على الإسلام وغيرهم ممن وقعوا فرائس أضاليلهم وأباطيلهم . إن الجهاد — كما قد يعلم المبتدئ — أقله السكينة الطيبة وغايته الجود بالنفس في حماية المبدأ ، وإن يعود الإسلام حياً حتى يتعلم أبنائكم وبناتكم درس الجهاد ، ويكون كل منهم مشع نور ، يعيش حياة نقية طاهرة ، وكالكوكب السيار يرسل ضياءه لينير سبيل الحياة .

ليشعر كل مسلم بأنه ليس فرداً أعزل ، ولكنه مستودع حركة حية ، ويجب أن يكون نشاطه متسقاً مع الإسلام لأن القدوة الحسنة أجدى من التعليم ، فإن لم يحمل هذا العبء بمجد ، فهو قرحة في جسم المجتمع وقد يكون سبباً في إدالته . إن المسلم حين يستقيم على تعاليم دينه في حياته يكون قد قطع في سعيه المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية بعد ذلك هي أن يعمل دون توقف للفكرة الإسلامية في محيطه مهما كان محدوداً ، وليدع غيره ليتبعوا الحق ، وليدفعه للعمل في مثابة وصبر . إن المسلمين اليوم فقراء لا يكادون يملكون وسيلة لنشر الحق ؛ فليكن كل منهم ناشراً للفكرة الإسلامية في المسلمين وغيرهم . وأخيراً يجب ألا نجد غضاظة في قولنا : بأننا نؤمن أن من واجبتنا تقديم أرواحنا في هذا السعى حتى ننقذ مثلنا العليا من العفاء . إن الرغبة في الحياة يعينها تقيضها وهو العزم على الموت ، والذين يمكنهم أن يحبوا هم فقط أولئك الذين لا يضمنون بأرواحهم ولا يغفلون أثمانها . والذين لا يؤمنون بفاعلية الجهاد كضمان لحماية المبادئ الإسلامية يثبتون جهلهم بالحياة ، إذ الحياة سعى دائم ، وكيف يتسنى لأية فكرة أن تبقى دون سعى دائم من أولئك الذين يحملونها ؟ إنه يتحتم على المؤمن أحياناً أن يموت في سبيل الدود عن مبادئه .



## الإسلام وغير المسلمين

إن المؤمن بالله لا يمكن أن يستبيح لنفسه الطغيان مهما كان شكله ، والظلم والإسلام نقيضان لا يجتمعان ، إذ بدون الحرية التامة لا يعيش الإسلام . إن المثالية عبث إن لم تجد طريقها في عالم الواقع ، وفكرة الإسلام لا يبدو لها أثر في القيود . وقد وضع الإسلام بعد كل ما تقدم طريقاً للحياة تشمل جميع مظاهر نشاطنا ، وجميع نواحي حياتنا ، بل حتى جميع مشاعرنا وإحساساتنا . إن محيطنا يجب أن يكون له ضابط من أنفسنا ، وإلا ففكرتنا تذوي كالورقة الجافة ، حتى نكون مسلمين يجب أن تكون بيدنا مقدراتنا ، وحينئذ فقط نستطيع أن نبني مجتمعاً قائماً على تعاليم القرآن ، وعندها سنحرر الإنسانية من الحاجة والشقاء والتفاوت والطغيان . لا نريد أن نحقق فكرتنا في غيرنا بالقهر لأن القرآن يعلمنا أن نحترم عقائد غيرنا . إن صحيفتنا ناصعة بالرغم من هذيان الكتاب المفرضين ؛ إذ قد سلطنا في علاقاتنا بغيرنا مسلك السباحة والكرم ، وتاريخنا منزّه عن الاضطهاد الديني والمجازر البشرية ومحاكم التفتيش الدنسة والعمل على إبادة الأجناس الضعيفة . لقد كنا أول من شرع قوانين الدولة التي هيأت للرعايا الحرية التامة لاتباع الوجهة التي يتولونها في الحياة ، وحبهم بالحقوق المدنية وسائر الحريات . لقد قرضنا على أنفسنا القوانين الرحيمة في الحروب حتى ولو ركب العدو الشطط . ولقد برئنا من التعصب لجنس أو لون ، ولم نحقر إنساناً لأصله ونسبه . لقد اتصلنا بأمم متأخرة فرفعناها إلى مستوانا ولم نبذل الجهد لحرمانها حتى من الحقوق الأولية للبشر . وحكومتنا لم تقم على الإفقار الاقتصادي للمحكومين أو تعطيل حضاراتهم ، أو حتى إتلاف ميزاتهم الحرية والسياسية .

هذه الحقائق يجب أن تقنع الدنيا أننا لم نزل نؤمن بالقيم ونحققها في الأرض . . . القيم التي فقدت مكانها من العالم منذ خُذِلَ الإسلام ، والتي لا يحققها غيره وغير المؤمنين به ! .

## في الإسلام القوة التي تصنع الأمة :

هل نحن بعد هذا سببة على وجه الأرض لا ينبغي لنا أن نعيش ؟ ألسنا محقّقين حين نطلب الحياة ؟ وهل نتعدى حقوقنا إذا رغبتنا في الحرية لتحقيق مثلنا العليا في جزء من أرض الله الواسعة فننشر ما نعتقد بأنه هو رسالتنا الحقيقية لنكون الشعب

النموذجي للعالم ؟ إن مثلنا العليا من عقيدتنا ، لأنها مرتكزة على الإيمان بأن الله وحده لا سواه هو مصدر الخير والفضائل جميعاً .

إن عقيدة الخضوع التام لله وحده لا شريك له هي الدواء الوحيد للعلل المختلفة التي تعذب العالم . وسر هذا الولاء الكلي هو التوحيد الذي أوحى به إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه إلى الناس .

هذا الولاء ، غير المجزأ يعبر عنه بكلمة الإسلام — التسليم لله — وبهذا الفهم نستطيع أن نخطو إلى الأمام ؛ لأن لدينا القوة التي تصنع الأمة وتهيؤها لتكون رائد الفلاح والمجد والحق ...

هل نحن مستعدون للبدء بالمسير ؟ هذه هي الفرصة المواتية ، فإنه لم تتحرك الأمة  
فقد لا تتحرك ثانية !!



لهذا يبكي ...

كان الربيع بن خيثم بالأهواز ومعه صاحب له ، فنظرت إليه امرأة فتعرضت له فدعته إلى نفسها ، فبكى الشيخ . فقال له صاحبه : ما يبكيك . قال : إنها لم يطمعها في شيخين مثلنا إلا أنها رأت شيخاً قبلنا ...

« الحلية »

# سعر الفائدة والربا

للاستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

## مقدمة :

يحسن بنا في مستهل هذا البحث أن نتفق على مدلول الألفاظ التي نسوقها والتي تتردد على ألسنة الكثيرين ، فإذا وضع المعنى وتحدد سهل مناقشته وفهمه ؛ وسنحاول بمشيئة الله أن نستعرض الدور الذي تلعبه الفائدة Interest في النظام الرأسمالي الحاضر ، ثم نفسير كلمة الربا وعلينا أن نحكم بعد هذا : هل سعر الفائدة هو الربا أم شيء آخر ؟ وبالرغم من أننا نؤمن بالقرآن إيماناً يملو على الجدل العلمي فسنحاول شرح حكمة التجريم مستعينين بالنظريات الاقتصادية الحديثة ، والتفسيرات الفقهية القديمة . نخلص بعد هذا إلى محاولة شرح النظام الاقتصادي الذي يجب أن يسود ويكون خلواً من الربا . وقبل أن ندخل في الموضوع نلفت النظر إلى أنه موضوع شائك معقد ، علاوة على كونه موضوعاً فنياً وعلمياً خالصاً ؛ ولكننا سنجتهد بعون الله في تبسيطه متجنبين الاصطلاحات العلمية والنظريات الفقهية حتى يتسنى للقارئ العادي أن يفهم لب الموضوع ، كما نعتذر عما قد يعتور البحث من قصور أو غموض نتيجة للايجاز الذي سنلتزمه ؛ إذ البحث من التعقيد بحيث لا يمكن أن يستوفي في مثل هذه العجالة .

## ١ — الفائدة وسعرها في الاقتصاد الحديث :

الفائدة هي جزاء رأس المال المقرض أو المستثمر ، ورأس المال هو مجموع الجهود المبذولة في إنتاج سابق والمجمعة في شكل يسمح باستعمالها في إنتاج لاحق والمعروضة لمثل هذا الاستعمال . فالفرد الذي يدخر من إنتاجه حصة معينة في شكل يمكنه من استثمار ما يدخره ( كالتقود مثلاً ) لإنتاج لاحق ، هذا الفرد يكون بادخاره رأس مال . وهو حين يعرض رأس ماله إنما ينتظر أجراً له نظير حرمانه الماضي من استمتاع حال بكل إنتاجه بغية استمتاع لاحق لجزاء رأسماله . وبعبارة أخرى قد جرم المنتج نفسه من إنفاق مقابل إنتاجه ( وعادة يكون هذا الإنفاق منصباً على استهلاك السلع والخدمات ) بغية استثمار مدخراته في المستقبل استثماراً يفيء عليه جزاء ينفقه ( عادة في استهلاك سلع وخدمات ) .

ويقوم النظام الاقتصادي المعاصر على اعتبار رأس المال ( بمعناه السابق ) عنصراً أساسياً من عناصر الإنتاج . ولاشك أن رأس المال كان منذ الأزل عنصراً لاغنى عنه في كل إنتاج . وليس هذا المعنى قاصراً على النظام الحاضر ؛ وإنما يتميز عصرنا الراهن في هذه الناحية بالذات بالدور الذي يلعبه رأس المال والفائدة التي تستمد منه في توزيع الدخل الأهلي ، وفي عمليات الإنتاج ذاتها من حيث النوع والكم . وقد بدأ هذا الأثر العميق واضحاً جلياً بازدياد حجم الصناعات الحديثة وانتشار نظام الإنتاج الكبير Large Scale Production أما الأثر لرأس المال وما يدره من فائدة في توزيع الدخل الأهلي فهذا مرده إلى تطورات تاريخية معروفة انعكست فيما يسمى حالياً عند الاشتراكيين بـطبقة الرأسماليين ، وقد تضاعف هذا الأثر بعد الحرب العالمية الأولى حين ظهر الائتمان المخلوق Created Credit وصارت النقود ( وهي الشكل العام للقيم الرأسمالية ) الورقية هي السائدة في التداول ، وخضعت هذه النقود لإشراف الحكومات ، وعمدت هذه الحكومات إلى خلق النقود للحصول على سلع وخدمات لم تكن لتقدر على الحصول عليها دون الالتجاء إلى هذه الوسيلة ، ولقد تمادت الحكومات في الثلاثين سنة الأخيرة في خلق النقود ، وهذه في ذاتها لا تعتبر رأس مال مالم تمثل جهوداً منتجة حسبما سبق بيانه ، حتى تأثرت رؤوس الأموال الحقيقية التي تبدو غالباً في شكل نقود متأثراً جعلها تابعة للدولة وسياساتها النقدية وصار عرض رؤوس الأموال ( وهو المنحى الذي يتقابلة مع منحى الطلب يحدد سعر الفائدة أو جزاء رأس المال ) متأثراً بالتألي بالسياسة النقدية إلى حد بعيد .

ولسنا في معرض مناقشة السياسات النقدية ، ولكننا نحب أن يكون القارئ على بينة من قضية هامة عند الاقتصاديين الأحرار ؛ هي أن الفائدة ليست إلا جزاء لرأس المال وأن سعر الفائدة هو ذلك السعر الذي يتحدد كما تحدد سائر الأسعار ( في مجتمع رأسمالي حر ) عن طريق العرض والطلب ، وما دام رأس المال حسبما عرفناه آنفاً موجوداً فلا مناص من وجود فائدة ، فإذا انعدمت هذه لسبب من الأسباب وقف تكوين رؤوس الأموال الجديدة ( لانعدام ثمرتها ) كما تغير منحى العرض وصار المالك لرأس المال زاهداً في استثماره ، إذ لن يعود عليه هذا الاستثمار بالفائدة أو الثمرة المرجوة . نعم قد تصل الفائدة إلى حد ضئيل ، بل قد تصل ( نظرياً ) إلى السلب كما أوضح الأستاذ كينز Kins ولكن ذلك لا يحدث عادة إلا لفترة قصيرة ثم يعود النشاط الاقتصادي إلى سابق عهده حيث يزداد الطلب على رؤوس الأموال ( غالباً لاستثمار جديد ) وبالتالي

يرتفع نتيجة له سعر الفائدة . وواضح أن سعر الفائدة يحدد أمراً له خطورته في الاقتصاد الحر الراهن ؛ وهو مدى تفضيل الاستثمار الإنتاجي الراهن بالنسبة للاستثمار الإنتاجي الآجل . ولست أدعى أن طريق هذا التحديد هو الطريق الأمثل ، ولكنه على كل حال هو الطريق الوحيد المتبع أو الممكن اتباعه تحت الظروف الاقتصادية المرعية ، والرأى السائد أنه لا يمكن اتباع طريق آخر مالم تتغير الأسس الاقتصادية الرأسمالية .

نتيجة لهذا التحليل يبدو أن الفائدة أمر له مبرراته إذ لو سلمنا أن رأس المال ضروري لكل إنتاج وعنصر أساسي في كل نشاط اقتصادي ، وأن رأس المال لن يتكون مالم تكن له ثمرة وجزاء ، وأن الفائدة هي الجزاء الطبيعي لرأس المال . إذا سلمنا بهذه المقدمات صار من السهل أن نفهم المبررات التي تعمل ضرورة وجود الفائدة كأساس للاقتصاد الرأسمالي الحر .

وحتى إذا استعرضنا التاريخ وتأملنا حكمه على الإقراض بفائدة وجدنا ميلاً ظاهراً إلى تحريم مثل هذا الإقراض ، وما كان التحريم إلا لأن الغالبية العظمى للمقرضين كانوا هم المعوزين والفقراء وأصحاب الحاجات . ومنذ عرف التاريخ الإقراض عرف الفائدة الربوية ؛ وقد استنكرها قدماء المصريين واليونان ، فذكر ضرورة إلغائها الفيلسوف سولون في معرض ما قرره من وجوه الإصلاح ، وحرّم أفلاطون الربا إطلاقاً إذ جاء في كتابه « القوانين » : « لا يحل لشخص أن يقرض رباً » أما أرسطو فقد لحى الفائدة بقوله : « ليس هناك منطق أقوى من ذلك الذي يقرر أن أبغض الأشياء هو الربا الذي يستدر الربح من المال ذاته » . فلما كانت المسيحية قررت أن الربا « إنهم وكيرة » ومالبت مشرعو الرومان المسيحيون أن سنوا القوانين التي إما حرمت الربا أو حددت سعره ، وكان حجتهم في ذلك حماية الفقير والمحتاج من عسف الدائن الغني واستعباده . وليس خفياً أن المدين كان يسترق في العصور الأولى ثم يحبس في دينه . على أن هذه القوانين لم تحدد كثيراً من ضراوة الفائدة وجشع المرابين ؛ إذ عمد هؤلاء إلى عقد صفقاتهم بصور مستترة تنجهم من طائلة القانون وتدر عليهم الربح الحرام .

ظلت القروض استهلاكية في غالبيتها حتى القرون الوسطى حين ازدهرت التجارة وطمع كثير من الناس في أرباحها وحينئذ بدأ القرض الإنتاجي يظهر وقل معه ميل الناس والحكومات إلى تقييد القروض الربوية أو إلى تحديد سعر الفائدة ثم اضطرد هذا الاتجاه باضطراد التقدم المادي والحضارة المدنية حتى أتى حين من الدهر في القرنين السابع عشر والثامن عشر دافع فيه المفكرون عن الفائدة عموماً ، وعن الفائدة التي تدفع



نظير قرض إنتاجي . فلما كانت الثورة الصناعية وبدأ الإنتاج الكبير وصار من الصعب  
يمكن أن يمول المنتج بمفرده مشروعه ، بدأ يفكر في مصادر يجمع منها رؤوس أموال  
تساعده على المضي في إنتاجه ، وهكذا انعكست الآلية ؛ فبدلاً من اقتراض الفقير من الغني  
لسد حاجات استهلاكية ، صار الغني يقترض من متوسطي الحال مافاض من أموالهم  
لسد حاجات إنتاجية ، بل إن اللقترض لم يعد ذلك الفرد أو الإنسان الفقير ، ولكنه  
اتخذ شكل شركات مساهمة أو غير مساهمة كبيرة وصغيرة ، أو شكل مؤسسات معنوية  
حكومية وأهلية ، بل صارت الحكومة ذاتها من أكبر المقترضين قاطبة في كل دول العالم .  
واستمر الحال هكذا حتى تسكيف الاقتصاد الحديث على أساس هذه القروض التي لا غنى  
عنها في كل إنتاج كبير ، وحتى لم يعد القرض في الغالبية عبئاً ينوء به الفقير ، ولكن  
وسيلة من وسائل النهوض المادي ، وعاملاً أساسياً في بناء الصناعة والإنتاج الكبير ،  
وطريقاً هاماً رئيسياً للحكومات تسلكه كلما أرادت القيام بمشروعات ضخمة تقصد  
منها إلى خدمة المجتمع ورفاهيته .

ولا بأس من أن نذكر في هذه المرحلة أن تطور الفكر الاقتصادي في العشرين سنة  
المنصرمة أخذ ينظر إلى سعر الفائدة نظرة تختلف عن سابقاتها من النظرات ؛ وأعظم  
مانشر في هذا المضمار هو نظرية اللورد كينز ، ومدلول هذه النظرية أن الأفراد  
لا يدخرون بقصد تكوين الدخل ولكن بقصد تكوين رؤوس الأموال ، وفي سبيل  
هذه الغاية تنشط المضاربات بغض النظر عن مقدار سعر الفائدة ، بل إنهم يستمرون  
في الادخار وتكوين رؤوس الأموال حتى لو انعدم سعر الفائدة . وسبب ذلك في رأى  
كينز هو أن المصنوع الذي يحصل عليه الأفراد من جراء ذلك أكبر بكثير من عائد  
الاستثمار المضمون الذي قد يعود عليهم لو استغلوا مدخراتهم أولاً بأول في مثل هذا  
الاستثمار . وعلى هذا فسعر الفائدة بالنسبة لهذه النظرية أمر متعارف عليه ؛ إذ سيظل  
الادخار مستمراً بقصد تكوين رأس المال حتى لو وصلت الفائدة إلى الصفر سعراً ،  
وفي هذا يقول كينز « إن أى مستوى للفائدة يرضيه الناس ويقنعون به يمكن أن يظل  
سارياً في مجتمع متغير على أن يخضع بطبيعة الحال لمختلف التغيرات والعوامل التي تدور  
حول ما يتوقع الناس أن يصل إليه السعر العادي » ومن رأى العلامة كينز أن ارتفاع  
سعر الفائدة يؤدي إلى عدم تشجيع الاستثمار ؛ إذ السعر المرتفع يعمل على كساد  
السوق أو النشاط الصناعي ، وبالتالي يؤثر سلباً على الدخل التي هي مصدر الادخار .  
من أجل هذا كانت السياسات الائتمانية : أى التي يسهل فيها الحصول على الائتمان

حافزة على النشاط الصناعي ، خصوصاً في المجتمعات المتقدمة التي تتوافر فيها مقدرات الإنتاج وعوامله . ويلاحظ أن هذه المقدرات أكثر في البلاد المتأخرة منها في غيرها فلم استغلت هذه المقدرات والعوامل استغلالاً يؤدي إلى التوظيف الكامل Full Employment لارتفاع الدخل الأهل بشكل محسوس ، ولازداد الادخار تبعاً لهذه الزيادة في المخول ، ولتوافرت رؤوس الأموال ؛ وحينئذ يمكن أن يصل سعر الفائدة إلى الصفر . ولقد قرر كينز أن ذلك سيحدث تدريجياً مادام الاقتصاد متخذاً سمت التوظيف الكامل ، بل إنه قدر أن يتم ذلك في بلاد أوروبا في مدة ثلاثين سنة يصل بعدها الاقتصاد الأهل إلى ذروة النجاح ويتمتع الأفراد بأوفر نصيب من الرفاهية . ومضمون هذا إن سلمنا جدلاً بصحة نظرية كينز أن الأفراد لن يصلوا إلى أوفر نصيب مالم يصلوا إلى التوظيف الكامل أو العمالة الكاملة ، وإن تكون العمالة كاملة مادام سعر الفائدة قائماً ، وهذا لا يعني قطعاً أن إلغاء سعر الفائدة في مجتمع متأخر أو متقدم نسبياً معناه الوصول إلى العمالة الكاملة .

وبالرغم من تغير الظروف التي ولدت فيها نظرية كينز (١٩٣٦) وعن النجاح الذي لاقته هذه النظرية إبان الحرب العالمية الثانية وبعد هذه الحرب إلا أن الاتجاه الأخير في البلاد الغربية اتخذ طريقاً مضاداً ، وبمجرد هدوء الحالة في كوريا وظهور بوادر الكساد الاقتصادي العالمي أخذت أكثر الدول تعمل على رفع سعر الفائدة . كما أن كثيراً من الاقتصاديين وعلى الخصوص في الولايات المتحدة أخذ يتحدى هذه النظرية ويفند أسانيدها العلمية . ومهما يكن من أمر فقد أحدث كينز انقلاباً هائلاً وثورة صاخبة في كل ميادين التفكير الاقتصادي ، وبهنا هنا أن نتبع هذا الانقلاب في ناحية خطيرة هي الفائدة وتكوين رؤوس الأموال . وتبدو هذه الثورة في كتابات بعض أساطين المفكرين أمثال هيكس وشاكل وهارود Hicux, Shackle & Harrod وغيرهم وخصوصاً من الباحثين في مظاهر الأزمات الدورية Trade Cycles .

فهم يعزون هذه الدورات إلى وجود سعر الفائدة في الأغلب ، إذ لهذا السعر تأثير نفسي وحسي عميق في تواليها لأنها تؤثر في الادخار والتوظيف ، وتسلمت هذه الفكرة التحليلية على البروفسير هارود حتى ذهب في كتابه الشهير Towards a Dynamic Economics إلى أنه لا حيلة لنا في السيطرة على الأزمات الدورية والحيلولة دونها مالم نعمل على خلق اقتصاد جديد خلو تماماً من الفائدة وسعرها ينبنى على أساس دولي عام . وللوصول إلى هذه الغاية يرى هارود أنه من الممكن إلغاء سعر

الفائدة إذا استطعنا أن نوجد رأس المال بالوفرة اللازمة التي تكفي ما تتطلبه المشروعات الإنشائية الجديدة ؛ وبهذا لا يدفع المكافئ Entrepreneur ثمناً لما يقتضيه من رأس مال ، وهو يعتقد أن هذه الوفرة ممكنة ، بل ليس هناك سبب جدى سليم لعدم إمكانية هذه الوفرة في الزمن الطويل مادام الاقتصاد سائراً في طريق التوظيف الكامل ، وقد يقال إن ذلك قد يدعو إلى توقف الادخار والاستثمار نظراً لانعدام الفائدة ، إلا أن هارود يزعم أنه في حالة التوظيف الكامل تقل فرص الاستثمار ولن يحجم الأفراد عن تكوين رؤوس أموال ، ولكن الذى يحدث هو انعدام سعر الفائدة . وحل المشكلة الاستثمار يقترح هارود إصدار شهادات ادخار Saving Certificates تضمن للمدخر قوة شرائية ثابتة تمكنه من الحصول مستقبلاً على قدر ثابت من الدخل الحقيقي .

“ The owner of capital can obtain interest because capital is scarce, just as the owner of land can obtain rent because land is scarce. But whilst there may be intrinsic reasons for the scarcity of land, there are no intrinsic reasons for the scarcity of capital. An intrinsic reason for such scarcity in the sense of a genuine sacrifice which could only be called forth by the offer of a reward, in the shape of interest, would not exist, in the long run, except in the event of the individual propensity to consume proving to be of such a character that net saving in conditions of full employment comes to an end before capital has become sufficiently abundant ”. (Towards a Dynamic Economics P. 146). Again Prof. Harrod Says :—

“ If the gilt-edged rate of interest eventually fell to a very low level, approaching zero, the banks will have to consider covering their expenses by service charges. (Ibid. P. 144).

وخلاصة الاتجاه العلمى الحديث هي ضرورة البحث في السبل التي تؤدي إلى القضاء على سعر الفائدة ، ويكاد الرأي يكون إجماعاً حول نقطة هامة هي أن الفائدة سبب أصيل متوطن من أسباب الاضطراب الاقتصادى الراهن سواء أخذ هذا الاضطراب شكل أزمات دورية ، أو ظلالاً في توزيع الدخول الأهلية ، أو عقبات في سبيل السائرين نحو التوظيف الكامل . وصحيح أيضاً أن الاقتصاديين لم يصلوا بعد إلى حل عملي للتغلب على هذه المشكلة التي تمس الاقتصاد في الصميم ، وأن منهم من يحاول ذلك عن طريق تدويل الإنتاج Internationalisation of Production وخاصة إخضاع إنتاج المواد الخام إلى رقابة دولية ( راجع في هذا لورد بويد أور Lord Boyed Orr ) ومنهم من يحاول إيجاد طريق يطبق في الدولة ذاتها ، ولم تخرج هذه الآراء جميعاً عن مجرد

اقتراحات وفروض علمية لم تصل إلى حد التطبيق بعد أو القوانين العلمية . وحقيقة أيضاً أن سعر الفائدة لم يعد ذلك ( الحجر الأسود ) بل صار حجراً عادياً فقد قداسته وغدا شراً لا بد منه وأتجه العلماء حالياً إلى التفكير في طريقة تخلص العالم من شروره .

## ٢ - الربا في الإسلام :

١ - النص : الربا - بصرف النظر عن تعريفه فنياً - محرم بنص صريح وارد في القرآن الكريم ، وقد ورد ذكره في أكثر من موضع . قال تعالى : « الدين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله » ( ج ٢ - ٢٧٥ - ٢٧٦ ) .

وقال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . ( ج ٢ - ٢٧٨ - ٢٧٩ ) .

وقال تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » . ( ج ٣ - ١٣٠ ) .

هذه النصوص لا تدع مجالاً للشك في حرمة الربا ، وهي نهى صريح بالغ الموعظة يوجب أن نأخذ رأس مالنا ، وأن ندع ما زاد عليه ؛ فالنهى عن الربا حسب مضمون هذه الآيات يعني ألا نأخذ زيادة على ما أقرضنا ، وقد شدد الله سبحانه وتعالى عقوبة من يخالف عن أمره بأن شهر عليه حرباً من الله ورسوله ؛ وهذا ما يحددنا إلى أن نحصر كل الحرص على أن تخلو معاملتنا من الربا ، وألا تشوبها منه شائبة ...

( للبحث بقية )

## تفسير ...

« وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية الكريمة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، دللتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل ؛ فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية في العمل ، وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية في الدعوة » .  
مصطفى صادق الرافعي



## خاطرة

# يسبوع غزير

فرغت الآن من صلاة العشاء وتسبيحاتها . . . ما أهنأ المصلّي الصادق بصلاته ، وما أجمل أن يمد المؤمن نفسه بين يدي الله مرات في اليوم واليلة . . . هذه الصلوات عنصر أصيل في برنامج التربية للقلب الإنساني في « الأرض » وهي ركيزة حياته الروحية بين تقلباته في شتات الأهواء والألوان من حاجات الجسد ومغريات الحياة . . . ولعل هذا الهدف العالي للصلاة يفسر شيئا من المناسبه بين قول الله سبحانه : « قم الليل » . . . وبين قوله : « إن لك في النهار سبحا طويلا . . . » في سورة المزمل !

ولكن المسلمين لا يقيمون الصلاة على وجهها . . . ولو أنهم فعلوا إذا لردتهم الصلاة إلى أنفسهم وربهم رداً موفور السلامة والبركة في أساسه ووجهته .

\*\*\*

أيها الربوب : خذوا الناس بما أخذهم الله به ، وربوهم بما شرع لهم ؛ واعلموا أن الله سلك الخير في حياة البشر ينابيع ، وجعل الصلاة أوسعها وأغزرها . . . ألا ترونه سبحانه آثرها وحدها بلبلة المعراج ، وأمر بها نبيّه صلى الله عليه وسلم وهو معه فوق سدرة المنتهى دون وحى أو حجاب . . . ؛ لتظل دائماً الصلة بين الإنسان وربّه صلة مباشرة تعرج بها روحه إلى رحاب الله !

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة معراج المؤمن » !



# الثورة الدستورية الأولى

## مصر تعزل واليها الظالم عملاً بمبادئ الإسلام

للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة

ظفرت مصر بالجلاء ؛ وغادر آخر جندي فرنسي أرض مصر في خلال شهر سبتمبر من عام ١٨٠١ . وكان المأمول أن مصر بعد أن كلفت هذا الكفاح المجيد في سبيل كسب حريتها ، وبعد أن واجهت النار والحديد طوال ثلاث سنوات واصلت فيها المقاومة ، ولم يهدأ لها بال أو يقر لها قرار مادام هناك جنود من الأجانب يدنسون أرضها ، فكانت تلك السنوات محنة قاسية كشفت عن حديد إرادتها ، وصادق إيمانها ، ومبادرتها إلى التضامن والوقوف صفاً واحداً لا تفرقة فيه في أوقات الشدة والخطر ، حتى انتهت المحنة بفوز مبين . كان المأمول ، بعد هذا كله ، أن مصر ستفتح صفحة جديدة من حياتها ، وتنهأ بعهد جديد من الاستقرار ، تنمحي فيه متاعبها ، وتنظم أمورها ، ويتحقق كثير من آمالها .

ولكن الدولة العثمانية — وكانت مصر مثل سائر البلاد العربية لا تزال تعترف بالتبعية لسلطانها وتشترك معها في نظمها السياسية والحربية باسم الخلافة ، التي لم تعد إلا خلافة إسمية ، وهي أبعد ما تكون عن نظام الحكم الصالح الذي رسم معالمه الإسلام — كانت تلك الدولة جامدة لا تسير قوانين التطور .

وعلى الرغم من أنه ظهر عجزها عن الدفاع عن الأقطار المنضوية تحت لواها ، كما تجلى ذلك إبّان الحملة الفرنسية ، فإنه بمجرد أن تمكنت مصر من اجتياز تلك المحنة بفضل جهاد أبنائها ، ومعونة العوامل الدولية ؛ إذ كانت بعض الدول الأوروبية قد وحدت جهودها لمناهضة سياسة فرنسا الاستعمارية في عهد نابليون . بمجرد أن تحقق ذلك إذا بهذه الدولة العتيقة تعود إلى استئناف سياستها القديمة التي طالما أن منها المصريون ، وبذلوا المحاولات تلو الأخرى للتخلص منها ، أو لتخفيف بعض ضرورها ؛ كأن الزمن لم يتقدم خطوة واحدة ، وكأن مصر لم تقاس من العذاب

صنوا ، وتبذل من التضحيات ألواناً ؛ وكأن لم يقع من الأحداث ما كان ينذر بأن العالم ينتقل من طور إلى طور !

كان أهل مصر ينتظرون أن تصغي الدولة لمشورتهم ، أو على الأقل أن تعين لهم والياً صالحاً ، أو تخفف عنهم عبء الضرائب ، أو تعمل على رفع المظالم المتعددة الأنواع التي كانت تثقل كاهلهم ، وكان قد تكوّن في البلاد وعى جديد بدأت تدل عليه آثاره منذ قيام على بك الكبير بمحاولة جريئة لإعلان استقلال البلاد عن الأستانة ؛ ثم اشتد وقوى نتيجة لظلم إبراهيم ومراد بك ؛ ثم تحول إلى قوة وطنية يهرب بأسها في عهد وجود الحملة الفرنسية . فكان هذا الوعي يتطلع إلى عهد جديد تغلب فيه إرادة البلاد ، ويعترف بقوميتها ، وتكون الرعاية الأولى فيه لمصالحها .

ما كان أبعد الفرق بين هذا الوعي وبين عقلية الحكام الذين كانوا يقررون مصائرهم ، وهم مقيمون بالأستانة : ما بين باشوات وإقطاعيين وأغوات ، ورؤساء وجاقات وجند انكشاريين ، وغيرهم . كانت الهوة سحيقة والمدى بعيداً .

ولقد ظلت مصر — خلال السنوات الأربع التي تلت جلاء الفرنسيين — مسرحاً للصراع بين قوى مختلفة متضاربة : فهناك العثمانيون ، والجنود الانكشارية ، والجنود الأرناؤود « الألبان » والمماليك ، والدسائس الاستعمارية ، ثم أضيف إليهم أخيراً جموع « الدلاة » أو « الدلاتية » — أي الأكراد — فكان هؤلاء الجنود يسرحون ويمرحون في ربوع البلاد لا هم لهم إلا السلب والنهب ، والاستيلاء على أقوات الناس ، وفرض الضرائب والاعتداء على الحريات ؛ فكانت الحال فوضى مطلقة ، وظهر الولاة ومن ورائهم الدولة عاجزين عن أن يفعلوا شيئاً لتغيير الحال ؛ أو لم يكونوا في الحقيقة يريدون أن يفعلوا شيئاً .

عينت الدولة والياً على مصر : « محمد باشا خسرو » ؛ وكان مملوكاً سابقاً للقبطان حسين باشا ، فكث في الولاية نحو عامين إلى عام ١٨٠٣ . وفي عهده تمثلت كل مساوئ الحكم العثماني . وعاد إلى إرهاب الناس بالضرائب ؛ وانتهى أمره بأن ثار عليه الجند من انكشارية وأرناؤود بقيادة « طاهر باشا » ، لتأخره في دفع رواتبهم ، وأحرقوا قصره بالأزبكية ، واضطروه إلى الفرار . وتولى « طاهر باشا » الحكم ستة وعشرين يوماً ؛ اغتاله في آخرها جنديان من الانكشارية . وحينئذ خلفه في زعامة الأرناؤود نائبه « محمد علي » ، وهو من جنسهم ؛ وسعى محمد علي إلى أن تحالف مع زعيمى المماليك : « إبراهيم بك » و « البرديسى » ليستعين بهما ضد قوة

الانكشارية التي كانت خطراً على جنده ؛ وبعد أن حقق هذا التحالف أغراضه وأُخرج الانكشارية من البلاد غدر محمد علي بحليفه وأرغمهما على الفرار . ولكنه لم يجرؤ على مناوئة الدولة العلية وإعلان عصيانه جهاراً ؛ لأن مثل هذه المحاولة كان لابد أن تبوء بالفشل . فعينت الدولة حينئذ « أحمد خورشيد باشا » وكان حاكماً لاسكندرية من قبل وعرف عنه الظلم والقسوة ، ولم يستطع محمد علي إلا أن يقر له بالولاء ويخضع لأمره . وكان تعيين الوالي في عام ١٨٠٤ وفي عهده تنابعت المظالم واضطربت الأمور .

هذه هي الحوادث الرئيسية التي انتهت بقيام تلك الثورة ، التي تحدى فيها الشعب سلطان الخلافة ، وأعلن الحرب على الوالي الذي عينته ، وأعلن عزمه على أنه يريد أن يقرر مصيره بنفسه . وكانت هناك قوة تدفع الشعب ، ناشئة عن ذلك الوعي الذي تحدثنا عنه — ولو أنها كانت قوة غامضة ولم تظهر أمامها الأهداف واضحة محدودة — قوة تدفعه إلى أن يبني لنفسه مستقبلاً جديداً ، ويضع الأسس لحياة جديدة تعود بها مصر دولة حديثة راقية ، وتبرز شخصيتها وتظهر إرادتها . وكانت الأسباب العامة التي أدت إلى الثورة هي تلك التي وصفناها : أي ما كانت تعانيه البلاد من حالة الفوضى ، وعدم الاستقرار ، وتعادي الدولة العلية في تجاهل رغباتها وإهمال شئونها .

وقد لبثت مصر فترة بعد فوزها بجلاء الفرنسيين ، وكأنما كانت تستجم قواها وتجدد حيويتها فتركت تلك الجيوش الطارئة تتصارع فيما بينها ، ويوهن بعضها من قوة بعض ؛ حتى إذا حانت الساعة وبلغ الظلم مداً وثبت إلى الميدان لتضع حداً لهذا التصارع بين القوى ، وتشعرهم أنها القوة التي يجب أن تبقى وحدها ، وهي التي يجب أن تقرر مصير الوطن .

أما الأسباب المباشرة : وكانت الكوارث التي حلت بالبلاد من جراء استقدام جند جديد أربى عددهم على ثلاثة آلاف ؛ هم جند « الدالاتية » الذين جلبهم الوالي العثماني الأخير « أحمد خورشيد باشا » . وكان يزيد أن يعيد بهم نفوذ العثمانيين ، ويقضي على قوة الأرمنود وزعيمهم محمد علي ، ويطيّل أمد حكمه حتى يستولى على ما يشاء من الأموال والضرائب التي تمتد إليها مطامعه .

حضر هؤلاء الجنود وهم غير نظاميين ؛ وأطلق لهم الوالي العنان ليجبوا الأموال التي وعدهم بها بأيديهم ؛ فتفرقوا في أنحاء العاصمة وغزوا بلدانا أخرى في الأقاليم ؛ وهم يهبون ويغربون ، ويشاركون الناس في مساكنهم وأقواتهم ، ولا يراعون حرمة ؛ بل انتهى بهم الأمر إلى الاعتداء على الأعراض . والناس يجأرون بالشكوى

ويتقدمون إلى الوالى بطلب الضرب على أيديهم ولكنه لا يصغى لطلبهم وكأنه يحرضهم على المضى فى عدوانهم ؛ فبلغ السخط بالشعب مداء وانفجرت الثورة .

بدأت الثورة فى يوم أول صفر من عام ١٢٢٠ هـ . ( وهو الموافق أول مايو سنة ١٨٠٥ ) فى حى « مصر القديمة » ، إذ كان معسكر الجنود الدالاتية بها . وتوجهت الجموع إلى « الجامع الأزهر » وكان قلب العاصمة النابض فى ذلك الوقت ، بمثابة « برلمان الشعب » — فشكوا إلى العلماء ما يعانون . وكان العلماء إذ ذاك زعماء الأمة : إذ كانوا يعبرون عن روحها ، ويتكلمون بلسانها ، ويتجاوبون مع شعورها ؛ وكانوا أقوياء فى الحق معتصمين بالله لا يخافون فى الله لومة لائم . ولذلك كان الحكم والأمراء يهابونهم ، ويأتمرون بأمرهم . وكم لهم من أفضال على مصر فى عهود الظلم والظلام ، فطالما دافعوا عن الشعب ورفعوا عنه المظالم . وكان على رأس العلماء فى ذلك الوقت السيد عمر مكرم النقيب ، العالم الثائر المجاهد ، والشيخ محمد السادات الذى اضطهده الفرنسيون وقذفوا به فى السجن هو وأهله ، وكانوا يضربونه بالعصى فى السجن صباحا ومساء ، والشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد الأمير وغيرهم .

فانضم العلماء إلى الشعب وقادوا الثورة وأضربوا عن الدروس ؛ وكان ذلك إيذاناً بأن أغلق التجار حوانيتهم ، وأخذ الناس يستعدون لجمع الأسلحة ، وانتشر الاضطراب فى المدينة ، وبقيت الحال هكذا نحو اثنى عشر يوماً ؛ ففى اليوم الأخير ذهب العلماء إلى « بيت القاضى » وازدحمت ردهاته وأقيته بالناس حتى قدر عدد الحاضرين فيه بنحو أربعين ألفاً ؛ وكان من بين الهاتفات التى ينادون بها : « شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ! » ؛ « حسبنا الله ونعم الوكيل » وأيضاً : « يارب يامتجلى أهلك العثملى ! » . وهذا الهاتف الأخير يبين روح الشعب ويدل على اتجاهه .

وحرر العلماء وثيقة تاريخية بمطالب الشعب أرسلوها إلى الوالى ذكروا فيها اعتداء طوائف العسكر على الحريات ، وإيذائهم للناس ، والنظام والضرائب ، ومصادرة الناس بالندعوى الكاذبة وغير ذلك . وطلبوا الجواب فى اليوم التالى . ورفضوا أن يذهبوا إليه حينما أرسل يترضاهم ، آملاً أن يخذلهم . ولما لم يحضر الجواب فى الموعد الذى صر به اجتمعوا مرة أخرى فى بيت القاضى وتداولوا فى الأمر ، ثم قرروا خلمه ؛ وأن يولوا غيره بمحض اختيارهم ومشيتهم ، وإرادة الشعب الذى كانوا يمثلونه وينطقون باسمه . وكان اختيارهم قد وقع على « محمد على » زعيم قوة الأرئود ؛ إذ أنه كان



قد تقرب إليهم وظهر أمامهم بمظهر الرجل الذي يمكن أن يوثق به ، والذي يتعهد بأن يطيع أوامرهم ويعمل على تنفيذ رغباتهم ، ويتعاون معهم على تحقيق البرنامج الإصلاحى الذى كانوا يفكرون فيه ويتوقون إلى تحقيقه ؛ وكانوا فى حاجة على كل حال لأن يعتمدوا على قوة حربية ليستطيعوا أن يشهروها فى وجه القوى التابعة للوالى ، وتسندهم إذا اختارت الدولة أن تتحدى إرادتهم . فبدأت قوة « الأرثوود » وعلى رأسها محمد على كأنها القوة الصالحة الوحيدة التى يمكن أن يعقد معها الشعب تحالفاً . ولكن محمد على — كما كانت الأيام ستظهر فيما بعد — لم يكن أكثر من ممثل بارع قد أتقن دوره كل الإتقان ؛ فكان يتفق معهم وهو لا ينوى إلا الغدر ، وكان لا يقصد أن يتخذ من ثقة الشعب إلا أداة توصله إلى نيل مطامعه وأغراضه الذاتية . ولكن قادة الشعب لا يستحقون أن يوجه إليهم لوم على وضع ثقتهم هذه فيمن لم يكن أهلاً لها ؛ فهم ليسوا أول ولا آخر من خدع ؛ والناس لا يطمعون على النيات والسرائر . ثم كانت هناك علة أخرى وهى أن القوم فى ذلك الزمان كانوا يعتمدون على كلمة الشرف ، وكانوا لا يزالون يقدرون قانون الشرف ؛ إذ كانت الأخلاق الدينية لا تزال قاعدة المجتمع . ولكن محمد على أتى بفكرة جديدة وقانون لم تكن تعرفه الديار ، وهى فكرة الحث والوصول إلى تحقيق المآرب الذاتية بطريق الغدر والحتل . كان القانون الذى جاء به هو قانون أن الغاية تبرر الوسيلة ؛ أى وسيلة كانت ولو كانت منافية للشرف . فكان أول من اتبع السياسة التى يسمونها « المكافيلية » فى هذه البلاد ، وهى السياسة التى لا تتقيد بقوانين الدين أو الأخلاق . وقد عين الجبرتنى هذه الصفة على أنها أبرز صفاته ، وضرب الأمثلة العديدة على غدره بكل من حالقه ، حتى إنه لم يتورع عن أن يخون « البرديسى » بعد أن شرب كل منهما من دم الآخر ، دليلاً الأخوة الدائمة وضماناً للوفاء . ولكننا لا نريد أن نستبقى الحوادث .

أما ما حدث فى ذلك اليوم — وهو يوم تاريخى أو يوم فاصل فى حياة البلاد — فإن العلماء وقد اجتمعوا به فى داره ليعقدوا معه الحلف ويبايعوه ، قالوا له فيما قالوا : « إننا لا نريد هذا الباشا حاكماً علينا ، ولا بد من عزله من الولاية ، وإنا نرتضى أن تكون واليا علينا ، بشرطنا ؛ لما نتوسم فيك من العدالة والخير » . وكان كل من سمع أقواله وتصريحاته للعلماء يتوسم فيه ذلك أيضاً . ثم — كما يقول مؤرخ العصر — « أحضروا له كرمه وعليه قفطان ؛ وقام إليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له . وذلك وقت العصر ؛ ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة » .

ف هكذا تمت الثورة الدستورية الأولى فى تاريخ مصر الحديث ( عام ١٨٠٥ )



إذ أن الشعب قد قرر خلع واليه الظالم وهو « أحمد خورشيد باشا » المعين من قبل السلطان ، دون أن ينتظر حتى يعرف مشيئة الدولة . وعين بدلاً منه شخصاً آخر هو « محمد علي » ، الذي ظن فيه الخير حينذاك . وقد امتنع الوالي من تنفيذ القرار ؛ وقال أنه لا يعزل بأمر الفلاحين : أي المصريين ، وتحصن بالقلمة وانضم إليه جنده . ولكن الشعب حاصره وقام بثورة مسلحة ضده ، وقاد الثورة زعمان من رجال الشعب هما : حجاج الحضري وإسماعيل جودة ؛ وكانا يعملان تحت إمرة « السيد عمر مكرم » الذي ينبغي أن يعتبر بحق زعيم مصر الوطني الأول . وما زال الحصار مضروباً والشعب مستمراً في جهاده حتى جاء خطاب من الأستانة يقر ما فعله الشعب ، ويبين سبب الإقرار بقوله : « حيث رضى بذلك العلماء والرعية » . ولم يجد الوالي المخلوخ بداً بعد أن استمر في إصراره وعناده شهراً آخر ، من أن ينزل من قلعته ويغادر مصر .

وليس هناك أدل على الروح التي كانت تدفع تلك الثورة والتي وجهتها ، من إجابة السيد عمر مكرم لأحد زعماء الأرمنوود الذين كانوا معضدين للوالي : فقد اعترض هذا الرجل قائلاً : « كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم وقد قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ؟ » فأجابه السيد عمر : « أولو الأمر : العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل . وهذا رجل ظالم . وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة . . حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونهم » .

مرآة تحقيق قايمة بعلوم

وأجابه الشيخ السادات بمثل ذلك .

فهكذا كان العلماء الذين يفهمون روح الإسلام ، والذين كانوا يعملون لإقامة شريعة الله العادلة في الأرض .

ولقد نجحت الثورة ووضعت آمالها في « محمد علي » ولكنه لم يرع الأمانة وخان العهد . وعلى كل فإذا كانت مصر قد أفادت من عهده خيراً من أي وجه فإنما الفضل في ذلك يرجع إلى الدين ولوه . وهم على كل حال قد خلصوا الشعب من الحكم العثماني ؛ ووضعوا الأسس لمصر المستقلة . ولو كان هذا الرجل قد وحّد قوته مع الشعب لكانت مصر قد أصبحت في عداد الدول الكبرى في مطالع القرن التاسع عشر ؛ ولكنه سعى وراء مجده الشخصي واغتر بالبريق الخادع ، وضجى بالشعب في سبيل الوصول إلى مآربه . وكذلك فعل خلفاؤه وأحفاده . وقام الشعب بثورة أخرى في عهد البطل أحمد عرابي ليخلع حفيده ، ولكن الاستعمار تدخل وقضى أن يستمر حكم الاستبداد والفساد ؛ حتى قيض الله لمصر البطل محمد نجيب وصحبه فأنتقدوا البلاد من هذا الفساد ، وخلعوا « فاروق » سفيك محمد علي . وما محمد نجيب إلا الخلف الصالح لخير سلف وهما بطلا مصر والإسلام : أحمد عرابي والسيد عمر مكرم .

# ناروتنا

\* مسلم يكتشف الفاصل المغناطيسي .

\* تهمة قاسية .

\* سعر الفائدة والربا . . .

\* لا تُشَد الرحال إلا إلى ثلاثة . . .

يذكر الأخ القاريء ما نشرناه في العدد السابع من السنة الأولى من « المسلمون » تحت عنوان « مسلم يكتشف الفاصل المغناطيسي » وقلنا إذ ذاك : « إن هذا المسلم المكتشف رجل عرفناه وعرفه قومه في فلسطين وعمان بالورع الشديد وأصالة الرأي . وقد حاول الإنجليز أثناء الانتداب أن يستولوا على اكتشافه فاستعصم ، وأبى عليه إيمانه أن يعين عدوآ . . . وهاهو ذا يمد يده إلى المسلمين » ؛ وكتب المكتشف نفسه قصة اكتشافه وخطورته ، وكيف يمكن به أن تدار الآلة باستخدام قوة المغناطيس الثابت بنفس الطريقة التي يستخدم بها التيار الكهربائي ؛ دون كهرباء ودون بطول . وقال في آخر مقاله الصغير : « إنني رجل فقير ، ولولا ذلك لسجلت الاختراع بنفسى ، واسكنى على استعداد تام للاتفاق مع أية حكومة مسلمة أو شركة مسلمة بالشروط المتعارف عليها دوليا إزاء كل اختراع جديد ، وسأفضى لها بعد ذلك بالحقيقة العلمية التي اكتشفتها » .

ويسعدنا أن تكون اليد التي تمتد إلى هذا الأخ المسلم المجاهد يد أعززة من أقصى المشرق ؛ هي يد جمعية نهضة العلماء التي بعثت إلينا بالرسالة التالية لنوصلها إليه .

\*\*\*

وبعد ، فقد اطلعنا على ما نشرته « المسلمون » في عددها السابع من السنة الأولى على مقال تحت عنوان « مسلم يكتشف الفاصل المغناطيسي » ذكرتم فيه أنكم قد اشتغلتم بالبحث لإيجاد آلة تدور دون استخدام أية قوة ، وأنكم قد توصلتم إلى استخدام

قوة المغناطيس الثابت ، وذكركم أنكم على استعداد تام للاتفاق مع أية حكومة مسلمة أو شركة مسلمة بالشروط المتعارف عليها دولياً . . .

وبناء على ذلك فإن الهيئة المركزية لجمعية نهضة العلماء بأندونيسيا تعلن ابتهاجها بوجود مسلم استطاع أن يتوصل إلى مثل هذا الاختراع ، وتبدي عظيم اعتزازها بالإخلاص الذي أعلتتموه بأنكم لن تنفقوا إلا مع حكومة مسلمة أو شركة مسلمة ، فهي بأمثالكم نخورة ، ثم إنها تفيدكم باستعدادها للاتفاق معكم إما على شراء الاختراع وإما على العمل المشترك بينكم وبينها ؛ إذ أن الجمعية لا تريد أن تسلك طريق الاحتكار . وعلى أيهما توافقون ننتظر جوابكم والشروط التي تقدمونها . ونرجو أن تتمكن جميعتنا من الاتفاق معكم قريباً .

ولا ننسى أن نشكر مجلة « المسلمون » التي أتاحت لنا فرصة العلم بأمر اختراعكم ، وكانت واسطة الصلات ، وهذه الرسالة بطريقها ، وتقبلوا منا أسمى التحيات .  
عن الهيئة المركزية لجمعية نهضة العلماء .

الرئيس  
عبد الواحد هاشم

الكتاب  
عبد اللطيف رمياطي



وهذه رسالة أخرى من منغافوره من السيد عبد المنتقم بن عبد الجبار ، يحمل علينا فيها حملة قاسية ، ويتهنأ بما نبرأ إلى الله منه ؛ فنحن والحمد لله نحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكبر هذه العاطفة الكريمة في كل من يحبهم . . . ولكن ذلك لا يمنعنا أن نتأدب بأدب رسول الله ونطيع أمره : « لا نسبوا أصحابي » ونسد بذلك ثغرة ما أكثر ما نفذ منها الشيطان إلى وحدة المسلمين فزقها . والله كره الحسن لمعاوية لا يعني الإساءة إلى الإمام علي ، ولكنه قد يعني أن تاريخنا يحتاج إلى قراءة جديدة ، وإلى تمحيص دقيق ، وربما خرجنا من ذلك بحقيقة كبيرة هي أن أصحاب رسول الله هم أصحاب رسول الله ، وبأن الذي حدث بينهم لم يكن إلا فتنة عمل على تكبيرها أعداء علي ومعاوية ، ثم هول في روايتها الغافلون والمغرضون ممن كتبوا عن هذه الفترة من تاريخ الإسلام من بعد ؛ والأمر بذلك لا يعدو أن يكون بحثاً تاريخياً يلتزم أدب رسول الله ، ولا يحمل للإمام علي أو الحسين سيد شباب أهل الجنة إلا كل محبة وإجلال ، رضى الله عنهما وأرضاها . وليس لأحد أن يمنع مثل هذا البحث ، كما أنه ليس لأحد أن يقرر بالعصمة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كنا نرجو من الأخ السيد عبد المنتقم بن عبد الجبار — ولسنا ندري أهذا هو اسمه ، أم هو اسم أرادته مبالغة في تأديبنا — أن يتثبت من تهمة القاسية قبل أن يحمل حملته ... ألم يكن أقرب إلى حسن الظن أن يدرك أن الكاتب ( أو أكثر ) الذى تناول هذا الموضوع إنما يعبر عن رأيه لا عن رأى « رئيس التحرير » وأن رأيه بذلك وجهة نظر تعرض في « مجلة » ليرد عليها مثل الأخ السيد عبد المنتقم ؟ وعلى كل فنحن نرجو حضرات الكتاب الفضلاء أن يوجهوا جهدهم أولا إلى الأمور المتفق عليها : يحلونهم ويؤلفون القلوب حولها ، ويدفعون إلى العمل بها . وفي نور الإيمان ومشغله العمل لن يجد التافه الذى تعود أن يعيث بعقولنا وقوانا متسعا من الوقت ، ولا فراغا من الجهد .

\*\*\*

ويطلب الإخوة الفضلاء : إبراهيم عبد العال الوكيل من العطارين بالإسكندرية ، والسيد حمدى الحريرى من حوران بسوريا ، وعبد الله صبره من زفتى أن نكتب عن الربا وسعر الفائدة وحكم الإسلام فيهما ، وفي أرباح الجمعيات التعاونية . ولعلمهم واجدون طلبتهم في بحث الأستاذ الفاضل محمود أبو السعود ، الذى ننشر الفصل الأول منه في هذا العدد .

\*\*\*

جاءتنا رسالة مطولة من السيد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد بالمعهد العلمى بالرياض يقول فيها .

نشرت مجلة « المسلمون » في عددها العاشر الصادر في ذى الحجة ١٣٧١ مقالا بعنوان ( كيف تحج وتزور ) يتكون من كلمة ذات شقين : يتعلق الأول منهما بالحج والترغيب فيه ، وما ينبغى للحاج أن يتصف به من إخلاص وتجرد ؛ وثانيهما يصف زيارة القبر الشريف ، وكيف تكون حال الزائر عند مشاهدته . غير أن الكاتب في هذا القسم الأخير تجاوز الحد المشروع ، فأجبت أن أبذل جهداً متواضعا لبيان هذا التجاوز عملا بالمبدأ المقرر شرعا « الدين النصيحة » .

(١) صرح الكاتب أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مقصد أساسى لطلب العفو والمغفرة من الله ، وقال إن ذلك مشروع بدليل قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا » وجعل هذا هو المقصد الأول من الزيارة . وهذا لم يقله أحد من الصحابة ولا من التابعين ، ولم



يعهد فيه عن السلف الصالح شيء . والنصوص الصحيحة ترد هذا القول وتنكره بشدة ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود وغيره . وقال : « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة . وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . قالت عائشة : يحذر ما صنعوا .

ولو ألقى الكاتب نظرة واحدة على الآية وقرأ ما قبلها لاتضح له المقصود ، وخصوصاً بعد أن يعرف السبب الذي من أجله نزلت الآية ، فمعرفة سبب نزولها يعين على فهمها كثيراً ، ولو رجعنا لكتب التفسير لوجدنا ابن جرير رحمه الله - وهو من أجل المفسرين - يذكر أن سبب نزول الآية ومعناها في المناققين الذين تحاكموا إلى الطاغوت ولم يرضوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حكماً ، وذكر في ذلك آثاراً كثيرة ولم نره تعرض للاستغفار عند القبر . نعم كان الصحابة رضى الله عنهم يفعلون ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الأحاديث الكثيرة ، أما بعد وفاته فلم يؤثر عن أحد منهم فعل ذلك ، بل مازال السلف يهتدون عن تحرى الدعاء عند قبره سداً للذريعة ؛ كما روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسين بن علي رأى قوماً عند القبر الشريف فنهاهم وقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبرى عيداً » . وفي كتاب القرى للطبري من أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول : زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم محتجاً بالحديث الذي رواه : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » . وأخص الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم وأشدهم له تعظيماً أصحابه رضوان الله عليهم ولم يكونوا يزورون القبر في كل وقت للسلام عليه ، ولم يكونوا يأتونه في كل مناسبة ، وأكثر ما روى في هذا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، وكان صديقه في السلام أن يقف على القبر ويقول : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاء ؛ وينصرف » . ذكر ذلك سعيد بن منصور في سننه وغيره .

وتساءل الكاتب في استفهام : « إذا لم تزر قبر الرسول لمثل هذه الأغراض الروحية فيم تكون الزيارة ؟ وأضاف يقول : « إن قبره كسائر القبور ، ولكن صاحبه ليس كسائر الموتى وهذا ما يوجب شد الرحال إليه » .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد :



المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . ورواه أحمد بلفظ آخر ، فعلم من هذا أن شد الرحل بقصد زيارة القبر مخالفة لما ثبت في هذا الحديث . والصحيح أن يشد بقصد زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعد هذا كله ذكر الكاتب مقصداً ثانياً من مقاصد الزيارة ، وهذا المقصد هو توثيق العهد وتجديد البيعة بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وفسر الكاتب هذا بأنه إحياء ما جاء به قولاً وعملاً وسنة وقرآناً . والحق أن هذا مقصد نبيل وغرض شريف ، ولكنه يجب علينا في تحقيقه ألا نفعل ما لم يفعله السلف . ولم يترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أثارة من علم تدل عليه .

وعسى ألا أكون قد جاوزت الصواب فيما كتبت والله ولي التوفيق .

\*\*\*

ورسالة السيد عبد الرحمن طويلة لم يتسع المجال لنشرها جميعها ونحن نشكر له اهتمامه ودقته ، ونسأل الله أن يقيمنا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شائبة ، وأن يرزقنا صفاء النفس ونور القلب وجميل الأدب مع الله ورسوله .

\*\*\*

هذا ، وقد تلقينا في هذا المعنى نصيحة كريمة من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المهيمن أبو السمح إمام الحرم المكي الشريف يوجهنا بها إلى أن نعيد النظر في مقال : ( كيف تنجح وتزور ) في العدد العاشر من « المسلمون » جزاه الله خيراً ؟

### الدستور الإسلامي

لم يتمكن الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي من مواصلة بحثه في « الدستور الإسلامي » لأمر عرضت لحضرته ، وموعدا العدد القادم إن شاء الله .

\*\*\*

### باب الكتب

نفتتح في العدد القادم بمشيئة الله باباً جديداً نتناول فيه الكتب ذات الصلة برسالة « المسلمون » بالعرض والنقد . وسيتولى هذا الباب الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى . ونرجو من حضرات المؤلفين الراغبين في تقديم كتبهم أن يرسلوا من كل كتاب نسختين : واحدة للتحرير ، وواحدة للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى . والمجلة ترحب أن تعتبر غير ملتزمة بالكتابة عن كل كتاب يرد إليها .

# سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

## الاستسلام للنيار

الناس مولعون بالمحاكاة ، كلفون بمسايرة من هم أعظم منهم شأنًا ، مستكينون إلى الواقع . وقليل من الناس يستطيعون الخلاص من سلطان المحاكاة ، وحكم العرف وسيطرة الواقع . هؤلاء هم المصلحون الذين تنجبهم الأمم بين الحين والحين لتقويم المعوج وإصلاح الفاسد ، والخروج على سلطان الواقع ، والثبات في مجرى الحادثات .

وكثير من الناس يحسبون أنهم أحرار وهم في الواقع مستعبدون . هم يخرجون على مذهب أو عرف لأنهم قد استعبدوا مذهب أو عرف آخر . ومن هؤلاء بعض المعاصرين في أمتنا يخرجون على أمتهم في رأي أو عادة ، ويصيحون أنهم أحرار مفكرون ، وهم في الحق عبيد بهرتهم مدينة أوربا وزينتها وفتنتها ؛ ولهذا لا تجدهم يدعون إلى أمر مبتكر أو طريقة مبتدعة ، بل إلى ما أخذوا من سنن أوربا . ولو صدقوا في دعوى الحرية لأخذوا من أمتهم ورووا ، وقبلوا من أوربا ورفضوا ، واخترعوا أحيانا من عند أنفسهم ما يخالف لهؤلاء وهؤلاء .

لقد خبرت كثيرا ممن يخالفون أمتنا في كل شيء ؛ فإذا هم مستسلمون لأوربا في كل شيء . ومن كبار كتابنا من دعا إلى مسايرة الزمان ، ومن كبار رجالنا من قال وأنا أحاوره في الحسن والقبيح : إن الأحسن هو الواقع .

والخلاصة أن دعوة هؤلاء الأحرار هي الاستسلام للتيار . ونحن نقول : إنما يذهب التيار بالأشياء الجامدة ، والأجسام الهامدة .

\*\*\*

## هو الظاهر والباطن

تختفي كالنجم بالغيم اختفى ثم تبدو ومض برق للعبادة  
أنت في ومض غيب ظاهر إنما العين بياض وسواد

\*\*\*

لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>

إعنا التوحيد إيجاباً وسلباً فهما للنفس عزم ومضاء  
« لا » و « إلا » قوة قاهرة فهما في القلب قطبا كهرباء

\*\*\*

## ضوضاء هذه المدينة

هذه مدينة ذات ضوضاء شديدة ، ضوضاء حسية وضوضاء معنوية ، ضوضاء نفسية  
وضوضاء خارجية في الأنفس والآفاق .

فالإنسان حينما سار وحينما سكن تقلقه الأصوات من كل ناحية من السيارات  
والقطارات والمذياعات والمجاهر والمصانع وغيرها . أصوات تأخذه من كل جانب  
في الطريق لا يجد عنها محيداً ، وتتبعه إلى داره فلا يجد منها مفراً .

ثم الضوضاء النفسية من المذاهب المتصادمة ، والدعوات المتناقضة ، والمقاتلات  
المتلاحقة في القيم والتأفة ، والجد والهزل ؛ تعرضها على من يريد لها ومن لا يريد لها ،  
ومن يفهمها ومن لا يفهمها الجرائد والمجلات ، والمحاضرات والإذاعات وهلم جرا .

فالإنسان من هذه المدينة في ضوضاء ظاهرة وباطنة تقلق بها النفوس وتضوي  
بها الأجسام ، وأحسب كثيراً من العلل النفسية والجسمية وليدة هذه الضوضاء .  
ولكن الإنسان يعيش في هذه الآفات فيألفها فلا يفطن لها ولا يعبر بها ، أو يفطن لها  
وينفر منها ويضيق بها ، ولكن أين المفر .

لعل أسوأ آفات هذه المدينة هذه الضوضاء ، وأنها هي اضطراب في النفس وقلق ،  
وسقم في الفكر وخلل ، وتعب في الجسم ومرض .

إن على الإنسان أن يفر من هذه الضوضاء جهده ، ويطلب الهدوء والسكون  
بعيداً عنها ما استطاع ، وإن على الحكومات أن تتعاون على التخفيف منها ، وتغليب  
الإنسان عليها ؛ بمنع ما يمكن منعه ، والحد مما يمكن حده ، وهكذا . ما يدرينا لعل هذا  
الحصام والتزعاج والاحتراب كله أو بعضه من آثار هذه الضوضاء التي تدوى بها  
المدينة الحرساء .

(١) التوحيد نقي ما سوى الله وإثباته تعالى ؛ فإذا كل هذا النقي وهذا الإثبات كان للنفس  
من قوة الإيمان ما يكون للكهرباء إذا اتصل قطبها الموجب بقطبها السالب . « لا » و « إلا »  
في كلمة التوحيد كهذين القطبين في الكهرباء .

# النظام الرأسمالى الجديد

للاستاذ أبى الأعلى المودودى

تقرباً إلى العربية السيد محمد عاصم الحمار

إن النظام الاقتصادى الذى نهض بنيانه على النظرية المطلقة للاقتصاد الحر ، يُصطلح عليه بالنظام الرأسمالى الجديد ( Modern Capitalism ) .

مبادئ الاقتصاد الحر :

وفى ما يلى نذكر لك ما لهذا النظام من المبادئ الأساسية :

١ — حق الفرد فى ملكيته الشخصية : وهذا الحق لا ينحصر فى مال يستعمله وينتفع منه الإنسان بنفسه من الأشياء كالملايس والأواني وأثاث البيت ، والمراكب والمشاية ، بل يشمل أيضاً تلك الأدوات والرافق التى ينتج بها مختلف الأشياء الاستهلاكية ليبيعها من غيره كالملايينات والآلات والأراضى والمواد الخام . أما القسم الأول فلا خلاف فى حقوق الملكية الفردية فيه ، وقد سلمت به النظم الاقتصادية كلها . ولكن النزاع كل النزاع فى القسم الثانى أى وسائل الإنتاج : هل يجوز فيها أيضاً حق الملكية الفردية أم لا ؟ فأول ما يمتاز به النظام الرأسمالى فى هذا الباب أنه يسلم بهذا الحق ، بل هو حجره الأساسى الذى ينهض عليه بنيانه فى حقيقة الأمر .

٢ — حق الحرية فى السعى : أى أن للأفراد — أفراداً وطوائف صغيرة أو كبيرة — حقاً فى أن يستعملوا ما بأيديهم من الوسائل فى أى ميدان من ميادين العمل شاءوا ، ولا يكون إلا لهم أو عليهم كل ما يحصل نتيجة لمساعدتهم من المنافع أو الخسائر . فكما أنهم يتحملون عواقب الخسارة كذلك لا ينبغي أن يُقيدوا بشيء من منافعهم ، ولهم الحرية التامة لبوسعوا فى إنتاج بضائعهم وبيعوها بما شاءوا من الثمن القليل أو الكثير ويستخدموا ما شاءوا من عدد الرجال أجرة أو مشاهرة ، ويقبلوا فى أمر متاجرهم ومعاملهم ومصانعهم ما ارتضوا به من الشروط والتبعات ويضعوا ما شاءوا من الضوابط واللاوائح . وينبغي أن تتم سائر المعاملات بين البائع والمشتري والأجير والمستأجر ، والحادم والسيد بالحرية الكاملة فيما يتعلق بالتجارة أو الصناعة ، وينبغي أن يجرى وينفذ فيهم كل ما اتفقوا عليه فيما بينهم من الشروط .

٣ — كون للمنفعة الذاتية هي الدافع إلى العمل : إن الذي يعول عليه النظام الرأسمالي في إنتاج المرافق الاستهلاكية وترقيتها هو طمع الأفراد في فوائدهم الذاتية ومنافعهم الشخصية ، وهو مما قد فطر عليه كل إنسان ، وهو الذي يدفعه إلى بذل السعى والجهد في أعماله . يقول المحامون للنظام الرأسمالي : إنه لا يمكن أن يوجد في الحياة الإنسانية دافع إلى العمل أحسن من هذا ، بل ولا غيره . فعلى قدر ما تقل من فرص المنفعة الذاتية من عمل الإنسان ، تفرته منته ويقل فيه جهده وسعيه . وأما إذا جعلت باب المنفعة الشخصية مفتوحاً وأكثرت من فرص الرقي الذاتي ليكسب كل فرد ما يقدر على كسبه بسعيه وجهده ، فهناك تجد كل فرد يكذب ويجهد بنفسه ليأتي من العمل أكثر وأحسن ما يستطيعه ؛ فهكذا يزداد الإنتاج بنفسه ويعمل ويرتفع مستواه ، وتستمر سائر الوسائل الممكنة تستعمل ، وتتسع للأدوات المنتجة دائرة استهلاكها اتساعاً طلي اتساعها ، ويكفل دافع المنفعة الشخصية وحده لينال من الأفراد للمصلحة الجماعية خدمة لا يمكن أن يسدوها إليها بطريقة أخرى غيرها .

٤ — المنافسة بين الأفراد : يقول أنصار النظام الرأسمالي : إن هذه المنافسة هي التي تحول دون أن تتجاوز أثره الأفراد وحبيهم لذواتهم عن حدودها في الاقتصاد الحر، وهي التي تقيم بينهم الاتزان والاعتدال . وذلك ما قد ضمنت به الطبيعة بنفسها ، فإنه إذا كان في السوق الحرة عدد كثير من الذين ينتجون شيئاً واحداً وكذلك من التجار والمشتريين ، فلا بد أن يتعين لقيمة السلع معيار متناسب كما بينهم من المنافسة ، فلا تتجاوز منفعة الأفراد عن حدودها المشروعة ولا تقل عنها إلا في أحوال شاذة مؤقتة . وكذلك لا يزال الأجراء والمستأجرون يقيحون لجمالهم ومشاهراتهم معياراً مترناً بأنفسهم بفضل المنافسة بينهم بشرط أن تكون هذه المنافسة بينهم حرة عامة غير مضيقه بنوع من الاحتكار .

٥ — الفرق بين حقوق الأجير والمستأجر : وفي النظام الرأسمالي ينقسم رجال

كل مؤسسة تجارية فريقين :

- (١) الملاك الذين ينشئون التجارة أو الصناعة ويديرونها ويتحملون على عواتقهم مسئولية المنفعة والخسارة في كل حال .
- (ب) والأجراء أو المستخدمين ، والذين لا علاقة لهم بالمنفعة أو الخسارة في قليل ولا كثير ، وإنما يصرفون أوقاتهم وجهودهم ومواهبهم في هذه التجارة أو الصناعة وينالون في مقابلها جملة معينة . فكثيراً ما تنهال على التجارة والصناعة خسارة على خسارة ، ولكن الأجير لا يزال ينال أجرته المعينة ، وربما تبور التجارة ويفلس الملاك ، وأما الأجير فغاية ما يحدث له أنه يغادر هذا العمل أو المتجر ويشغل في غيره . فيقول



المدافعون عن النظام الرأسمالي : إن هذه الصورة للمعاملة تقضى بنفسها أن منفعة التجارة أو الصناعة — بموجب العدل والنصفة — إنما يستحقها من يتحمل خسارتها ويعرض نفسه لتحمل الأخطار . أما الأجير ، فلا ريب أنه يستحق جعلته المشروعة التي تتمين في السوق بالمعروف على حسب نوع عمله وكميته ؛ فلا لهذه الجميلة أن تزيد بحجة أن التجارة — أو الصناعة — رابحة سائرة بالمنفعة ، ولا أن تنقص بحجة أن التجارة — أو الصناعة — قد أصابها الخسارة . إن عمل الأجير يجعله مستحقاً لأجرته المتعينة في كل حال ، ولكنه لا يجعله مستحقاً إلا لأجرته المتعينة فقط . وهذه الأجر والجماليات لا تنقص ولا تزيد إلا حسب ذلك القانون الفطري الذي به تنخفض أو ترتفع قيمة سائر السلع والبضائع في السوق . فإن قل المستأجرون وكثر الراغبون في العمل ، فلا بد أن تنقص الأجرة بنفسها . وإن قل الأجراء وكثر الراغبون في الاستئجار ، فلا بد أن تزيد الأجرة . ولا بد أن يعود على الأجير الماهر النشيط عمله بأجرة وافرة ، ولا يزال صاحب المعمل أو المنجر يستميله إلى نفسه ويعمل على جلب رضاه بالإعانة عليه وترقيته . وكذلك يجد الأجير ويكد في الإفادة في عمله وترقيته على حسب ما ينال من الأجرة ؛ فيكون مما يوده الملاك والمستأجرون أن ينفقوا قليلاً ويربحوا كثيراً ، فيميلون — طبعاً — إلى الإقلال في الأجرة . وبالجانب الآخر يكون مما يوده الأجراء والعمال أن تنسد حاجاتهم بأكثر رفاه ورفاء ويرتفع مستوى معيشتهم شيئاً فشيئاً ؛ فهم دائماً متطلعون إلى الاستكثار من أجرتهم ، فمن الطبيعي أن ينشأ بهذا التضاد نوع من المشاكسة والمخاربة بين الأجراء والمستأجرين : إلا أن الأجر لا يزال قدر منها يتعين بسائق الفطرة ، ويرضى به كل من الفريقين بالتفاعل بينهما ، وذلك كما يكون في كل شأن آخر من شؤون الدنيا .

٦ — التعويل على الأسباب الفطرية للارتقاء : يقول المحامون للنظام الرأسمالي : إنه

إذا كان الربح في التجارة كله يتوقف على قلة رأس المال وكثرة الإنتاج ، تظل مصلحة الرজন التاجر الذاتية نفسها تضطره إلى أن يختار للاستكثار في إنتاجه أحدث وأحسن الطرق العلمية ، ويتمهد آلاته وماكيناته بالإصلاح والتنظيف ويقتنى المواد الخام على كمية وافية بثمن قليل ، ولا ينفك يعمل فكره ورويته في ترقية طرق تجارته وصناعته . فهكذا يظل يتحقق كل ذلك ويتم بطبيعة الاقتصاد الحر وما يكتتفه من الملابسات الخصوصية من غير تدخل خارجي أو حيلة متصنع ، ولا تزال القوانين الفطرية تستخدم جهود الأفراد ومساعدى الطوائف الانفرادية ، وتنفع منها في الترقية والرفاهية الجماعية ، مما لا يمكن أن يتم بتدبير اجتماعي (Social Planning) على الوجه المراد ، فإن هذا تدبير فطري لا ينفك قائماً بعمله من حيث لا يشعر به أحد .

٧ — عدم تدخل الدولة : يقول أنصار هذا النظام : إنه لا يمكن أن يتم العمل على الفلاح والرفاه الاجتماعى على أحسن وجه حسب المبادئ المذكورة إلا إذا كان الأفراد أحراراً فى أعمالهم من غير ماضط ولا تقييد ، وقد وضعت الفطرة فى القوانين الاقتصادية تلاؤماً بحيث أنها إذا عملت — جميعاً — متحدة متعاونة ، أنتجت خير الناس ، أفراداً وجماعات أجمعين ، مع أنه لا يعمل ويسعى كل فرد إلا فى منفعة الذاتية ، كما قد تقدم بيان ذلك . من الطبيعى أن الأفراد كلما تراءى لهم جزاء أعمالهم وجهودهم فى صورة المنافع الشاملة غير المحدودة ، بذلوا كل ما أوتوا من قواهم ومواهبهم ليقتنوا أكثر ما يقدرون على اقتنائه من الثروة والأموال ، مما يكفل للجميع أن يصنع لهم من المنتجات والمصنوعات أحسنها وأكثرها . وإذا فصلت المنافسة العامة بين التجار والصناع والمهنيين للمواد الخام فى السوق الحرة ، اعتدلت الأسعار واتزنت الأمان بنفسها ، وارتفع مستوى المنتجات وتبين بنفسه ما يحتاج إليه المجتمع من الأدوات ، فليس من عمل الدولة فى كل حال أن تتدخل فى العمل الفطرى لنمو الثروة وتخل توازنه ؛ وإنما من عملها أن تولد أحوالاً تحافظ على الحرية الفردية محافظة شديدة ، وعليها أن تحقق الأمن وتقيم النظام والإدارة وتحافظ على حقوق الملكية وتوفى بالعهود بقوة القانون وتحمى البلاد وما فيها من التجارات والصناعات من الحملات والصدمات والأخطار الخارجية . ومن واجب الدولة أن تكون محققة للعدل فى البلاد مشرفة على أحوالها ساهرة على شئونها ، وليس من واجباتها أن تكون هى التاجر أو الصانع ، أو مالك الأرض ، أو لاتدع التجار والصناع وملاك الأراضى يتدخلوا فى شئونهم أن يقوموا بأعمالهم ، كما يشاؤون .

### علل الأسباب وأسبابه :

تلك هى المبادئ التى عرضت ، وأبدى وأعيد فى ذكرها عند نشوء النظام الرأسمالى الجديد ؛ وإذا كان فيها جانب من الصدق مع نوع من المبالغة ، فقد جعلها أهلها مسلماً بها فى العالم عامة . والحقيقة أن هذه المبادئ ما كان فيها شيء جديد ، وإنما كانت هى كلها مما لم يزل يجرى عليه نظام الاقتصاد البشرى منذ أول أمره . وإن كان فيها شيء جديد فإنما كان ذلك فى تلك الشدة المتطرفة المبالغ فيها ، التى اختارتها طبقة البورجوازية فى تطبيق بعض المبادئ على اقتصاد عهد الانقلاب الصناعى . وزد على ذلك أنهم ما أنهضوا نظامهم كله على تلك المبادئ الفطرية التى قد مر ذكرها آنفاً ، بل مزجوها بطائفة من المبادئ الحاطة . ثم إنهم قد ضربوا الصفح عن مبادئ أخرى كانت ذات أهمية بالغة للنظام الاقتصادى الفطرى مثل ما كانت له مبادئ الاقتصاد الحر

المذئورة . وكذلك نفوا كثيراً من المبادئ التي عرضوها بأنفسهم لما انطوت عليه نفوسهم من الأثرة وحب الذات . فهذه الأمور الأربعة هي التي سببت تلك المفاسد التي ما زالت تتولد في النظام الرأسمالي إلى أن تفاقم أمرها واستفحل شرها حتى قامت الدنيا في وجهها نائرة هائلة .

ففي ما يلي نستعرض هذه الأسباب على وجه من الإيجاز :

١ — إن القوانين الفطرية ، التي مازال هؤلاء القوم يستشهدون بها في كل مرة تأييداً للاقتصاد الحر ، لا تصح إلى حد تلك المبالغة التي أرادوا أن يأتوا بها لافي أقوالهم بل في أعمالهم أيضاً . وقد صدق اللورد كينز ( Kins ) عندما قال « إن الدنيا لا تحكمها حكومة قوية من القوانين الحلقية والفطرية تحصل بها الموافقة بين مصلحة الأفراد الذاتية ومصلحة المجتمع الجماعية بنفسها ، ولا يصح الاستنباط من مبادئ الاقتصاد أن الأثرة المتنورة دائماً تسعى في الفلاح والإسعاد الاجتماعي ، كما لا يصح القول بأن الأثرة دائماً تكون متنورة ، فإن الذي نراه في أكثر الأحيان أن الذين يبذلون مساعيهم لأغراضهم الذاتية بصفة فردية ، يكونون بالغين في الضعف والسفاهة حتى إنهم لا يكادون يقضون أغراضهم فضلاً عن أن تتم على أيديهم الخدمة المصلحة الجماعية خدمة لازمة أبدية . ولا يقتصر الأمر على أنه لم تكن هذه الأقوال صحيحة من جهة العقل ، بل الذي شهدت عليه أعمال الرأسماليين من طبقة البورجوازية أنه لم تكن أثرهم متنورة . وقد اجتمعوا على مصالح الجمهور المستهلكين والأجراء العاملين والحكومة المحقة للأمن والرفاهية وتآمروا على أن يحتجوا لأنفسهم كل ما يأتى به الانقلاب الصناعي من المنافع والأرباح . فجاءت مؤامراتهم هذه مدحضة لأكبر دليل كانوا يقدمونه تأييداً للاقتصاد الحر ، وذلك أن الاتزان في المنفعة بين الجميع يقوم بنفسه بتفاعلها الفطري في ما بينها . ومن أجل ذلك اضطر الاقتصادي الشهير آدم سميث (Adam Smith) — وهو أكبر محام للاقتصاد الحر — إلى القول :

« قلما يجمع التجار وأهل الحرف والصناعات مجلس من المجالس لا ينتهي بهؤامره بينهم خلاف الجمهور ، أو قرار لرفع أسعار البضائع ، حتى لا تسكاد تخلو الحفلات العامة التي يتسنى لهم الاجتماع فيها من إقرار مثل هذه الجريمة الشنيعة » .

وكذلك كانت دعواهم في الملكية الشخصية وحرية السعي بأن الأفراد متمتعون تحت هذه العناوين بحقوق لا ينبغي أن يضرب عليها حد من الحدود ، مبالغاً فيها إلى حد بعيد ، فإنه إذا تصرف الرجل في ملكيته على وجه يعس معيشة ألوف من البشر ، أو اخترق لمنفعته الذاتية سبيلاً إلى السعي والعمل يؤثر تأثيراً غير جميل في صحة المجتمع

كله أو أخلاقه أو عافيته وراحته ، فما الموجب بأن يسمح له بكل ذلك ولا يضرب القانون عليه من الحدود ما لا يدع تمتع الأفراد بحقوقهم الذاتية أن يتقلب ضرراً على المصلحة الجماعية . ولقد بدأوا القول وأعادوه في عدم تدخل الحكومة وجاوزوا به عن حدوده المشروعة حتى لم يمكنه الامتناع عن أن يأني بما قد آتى به فعلاً من النتائج السيئة والعواقب الموبقة ، فإنه إذا بدأ الأفراد الأقوياء يتآمرون باجتماعهم على الضعفاء الكثيرين ، ويستغلون ضعفهم استغلالاً فاحشاً ، وظلت الحكومة ساكنة واجمة ؛ بل محافظة على مصلحة هؤلاء الأفراد الأقوياء فلا بد أن يؤول الأمر إلى الاضطراب والفوضى . ومن المعلوم أن الاضطراب إذا ظهر ، لا يتقيد لظهوره بالطريق المستقيمة المشروعة .

( للبحث بقية )



فقه المثل الأعلى

« . . . فالخير في الإسلام ليس خيراً إلا إذا ابتغى به وجه الله ، والعنصر الطيب ليس طيباً إلا إذا استنار بمعرفته عز وجل . . . »

وهذا مذهب جليل في تقدير الرجال والأعمال : يصحح الأوضاع . . . ويسمو بالجمع إلى مستوى رفيع من الكمال ؛ إذ يجعل الأقوال والأفعال منوطة بغاية واحدة ، ومثل أعلى هو الله سبحانه . . . قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : يا رسول الله إن عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام — في الجاهلية — ، ويفعل كيت وكيت من المعروف ، أينفعه ذلك عند الله ؟ قال : « لا ؛ لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

البرهي الخولي

من كتاب آدم عليه السلام

« تحت الطبع »

# الطب عند القدماء

للأميرالاي الدكتور أحمد الناقة

مدير المستشفى العسكري المصري

(١)

منذ آلاف السنين نشأت بين النهرين في العراق ، وعلى ضفاف النيل في مصر حضارة عالية ازدهر في ظلها الطب وأقبل على التفقه فيه الملوك والسكينة وأهل الفكر . وتدل الكتابة والنقوش في المعابد والتماثيل والجثث المحنطة ، ثم البرديات على أن أمراض الإنسان لم تتغير كثيراً ؛ فتصلب الشرايين والبلهارسيا والدرن وأمراض العظام — مثلاً — كانت معروفة منذ فجر التاريخ ، وكذلك عرف التخصص في فروع الطب المختلفة كالباطن والجراحة وأمراض النساء والأطفال والرمم والأسنان .

وإلى عهد قريب كان العالم يفاخر بأنه أتى في الطب بما لم تستطعه الأوائل حتى سنة ١٩٣٠ حين أخذ برستد يفتير بعض ما اهتدى إلى فهمه من بردية سمث التي اكتشفت بالأقصر سنة ١٨٦٢ فأتضح أن أسلافنا هم الذين أرسوا قواعد الطب والدواء ، وهي التي ادعى المتأخرون لأنفسهم فضل السبق إليها ، وهم لا يعلمون أنهم كانوا وما زالوا مسبوقين ؛ فقد عرف آباؤنا طب العوض ( الهرمون ) حين عالجوا الأعضاء المريضة بمثلها من أعضاء الحيوان ، وعرفوا الحيوانات ( الفيتامينات ) حين استنبطوا بذور الحلبة والفول والتمرس وأكلوها نابتة وحين أضافوا الحميرة إلى الطعام والشراب ، وعرفوا المطهرات الفعالة حين عالجوا الجروح بضمادة واحدة لم يغيروها أربعة أيام سوى التأم فيها أكثر الجروح بلا قيح . أما المطهرات التي حنطت الجثث آلاف السنين فقد عجز العلم عن كشف سرها إلى اليوم .

وكان بعض الأقدمين يعتبر الكبد مصنع الدم وأصل الحياة . ولكن مصر جمعت النفس أهم مظاهر الحياة واعتبرت الدم مصدر القوة ، واتخذت من لونه الأحمر طلاء للجثث المحنطة ، ومن بعض الحجر الأحمر دواء ووقاية من كل سوء .

وبلغ التشريح غاية التقدم في مصر من طول ما حنطت الأجساد وشرحت الأضحية في الأعياد ، فقد عرف أن القلب يجمع الدم ودافعه إلى أنحاء الجسم في الأوعية الدموية التي تنبض مع القلب ، وأجاد الجراحون التشريح .



وأسباب المرض كانت إما ظاهرة كطعنة الرمح ولدغة العقرب ودودة البطن فتعالج بالأدوية ، وإما خفية فتعالج بالرقى والتعاويذ والسكھانة . وهنا كان مجال السبق العجيب في الطب النفساني . وفي الهيروغليفية يرمز لشق الأمراض بصور الحشرات والھوام والديدان . وعرف تطور الحيوان من بويضه إلى علقه إلى مضغة ثم التدرج إلى الخلق السوى ، وعرفت أورام لانعلھا نحن .

وفي التشخيص فرقوا بدقة مذهشة بين أمراض الباطن والقلب وأمراض النساء وأمراض الخلق وأمراض العين ، واهتدوا إلى أنواع النبض ، وعرفوا وسائل الفحص بالمشاهدة والجلس والقرع والسمع كما يفعل أطباء اليوم .

وكان العلاج مزيجاً من الفطانة والسكھانة . وقد غلبت الفطانة بالملاحظة الدقيقة وأصالة التجربة في عصور التقدم ، وطغت السكھانة والسحر في عصور التأخر . ومازلنا نجھل مدلول كثير من الأدوية التي جاء ذكرھا في البرديات . وقد اتخذوا الدواء من الأعشاب والبذور وأجزاء الحيوان والعادن والأملاح ، وابتكروا كل أشكال الدواء مثل : شراب . حبوب . ليوس . حقن شرجية . لبخات مرامم . غسول . وأوقفوا النزيف بأدوات معدنية محماة في النار على نحو ما يفعل المحرثون بالمبضع السكاوي .

وبراعتهم في التشريح جعلت منهم جراحين مهرة ابتكروا أدوات الجراحة من الحجر فالبرونز فالحديد ، وأحسنوا استئصال الأورام وعلاج الجروح والحروق وأجروا ختان الذكر والأنثى وقد خلفوا لنا في بردية سمث وصف خمسة وأربعين نوعاً من الأمراض والأورام تشفى بالجراحة ولم يهاجوا جراحة الرأس والصدر التي لم نجروء على بعضها إلا منذ عهد قريب . ونظموا غذاء المريض وسبروا غور الجرح ، ووضعوا المرامم والقوا بوض وضمدوا الخلع ، وجبروا الكسر بإتقان ، وعالجوا كسر الرأس وأزالوا فئات العظم من المخ بأدوات رافعة دقيقة ، وضمدوا أطراف الجروح بإحكام قبل تضميدها وعرفوا أن المخ مركز العقل والحس وأن الحبل الشوكي مركز الحركة . وكان عجيباً أن اهتمدوا إلى ضم حافتي الجرح وإلى جراحة التجميل وإزالة التجاعيد وإلى الأسنان الذهبية

أما الطب الاجتماعي الذي مازال غير معروف في أكثر البلاد ولا مألوف في أقلها فكان قدماء المصريين يعرفونه ويطبقونه في قواعد دفن الموتى ، والنظافة الشخصية البالغة حد الاستحمام أربع مرات في كل يوم وليلة وقص الشعر كل ثلاثة أيام ولبس الأبيض النظيف ، وتناول اللينيات كل شهر ، ولزوم قواعد الصحة في ملامسة النساء . وفحص الحيوانات قبل ذبحها وتحريم لحم الخنزير ، وترشيح ماء الشرب أو غليه ، ونظافة

المسكن ورعاية الطفل ولفه بقماش نظيف بغير أربطة ولا ملابس تعوق نموه وحركته حتى يبلغ سن الخامسة وإعطائه لبن البقر والحضر بعد الفطام وتيسير لعبه بالصوابع والأكر والحبال . ولم يهملوا فن التزيين فاستعملوا العطر وصبغة الشعر والأظافر وأحمر الخدين .

وأما التأمين والتأمين الصحي فقد نسفته هيئة طبية محترمة كفلت العلاج للناس كافة في السلم بأجر قليل ، وفي الحروب والرحلات بالجان ؛ على أن تقول الأمة الأطباء الذين يرعون صحتها وكانت الرقابة شديدة على الأطباء والصيدالة حتى جعلوا الموت جزاء ، وفاقا لمن ثبت أنه قتل مريضاً عن جهالة .

وليس في تاريخ الطب كله ما هو أثمن من بردى سمث وأبرز اللتين اكتشفتا بالأقصر سنة ١٨٦٢ و سنة ١٨٧٣ وهما موسوعتان في الجراحة والطب ضمتا من العلم ما زاد على القدم جدة وروعة . وقد كانت بمصر مدارس طبية منظمة على أسس علمية سليمة يقوم عليها نطس الأطباء ومهرة الجراحين الذين مارسوا المهنة لاطمعا في مال أو جاه ، ولكن رغبة في العلم والخير وحسبة لوجه الله .

وإن أروع ما يوحى به تاريخ الطب القديم هو ذلك الإدراك الشامل العميق لأسرار الحياة الجنينية والنفسية والاجتماعية ، وتلك الرعاية المستنيرة لصحة الفرد والجماعة . ولا ريب في أن هذه المعرفة الواسعة هي تراث السلف في العصور الحالية التي قد ترجع في القدم آلاف السنين ، وما أضافه الخلف على ذلك التراث حتى زمن المؤلفين لأنه لا يمكن أن يبرز كل هذا العلم فجأة في أذهانهم مهما أوتوا من الحكمة وفصل الخطاب .

وحين توألى الغزاة على مصر ذوى فيها الطب ، وانتقل أكثره إلى الإغريق . وإذن فمصر منذ القدم قد شادت هيكل الطب ثم زادته وصانته بما اتسمت به حضارتها من التجديد والتخليد : التجديد الرائع وأصالة الرأي ودقة الملاحظة في عهود الهدوء والاستقرار ، والتخليد والتسجيل بالكتابة والنقش والنحت لكي تقاوم أحداث الزمان في عهود الفوضى والدمار . ونشاط الأمم كالكائنات الحية ينمو ويكثر في الرخاء ، ويذوى ويضمحل في الشدة أسوة بالزروع ذات البذور ، والأشجار ذات الثمار وكذلك الأمميا وأكياسها ذات الأسوار .

هذا تاريخ أمة مجيدة أضاءت للعالم والعرفان ، وعلى الأبناء أن يعيدوا سيرة الآباء ؛ فيعودوا إلى حمل المشعل وجعله سراجا وهاجا يخرجون به الناس كافة من ظلمات الأثرة والخصام ، ويحفظون للعالم الحضارة والسلام .

# مع العشارفين

الإمام الممتحن : أحمد بن حنبل

( ٥ )

وكان المعتصم قد أعجب بأحمد بن حنبل فلما خلا به قال :

أما تعرف صالحاً الرشيدى ؟ كان مؤدبى ، وكان فى هذا الموضع من الدار جالساً مرة ؟ فنكلم وذكّر القرآن بخالفنى ، فأمرت به فسحب ووطىء ، ولم يشفع له أنه معلمى . . . ولكنى لا أفعل بك ما فعلته به . . . إبنى لم أكن أعرفك إذ لم تكن تأتينا مع من يأتى . . .

فقال عبد الرحمن بن إسحاق : يا أمير المؤمنين ، إبنى أعرفه منذ ثلاثين سنة ، إنه يرى طاعتك ، والحج والجهاد معك ، وهو ملازم منزله . . .

فقال المعتصم : والله إنه لفقيه ، وإنه لعالم ؛ وإبنى ليسرنى أن يكون معى يرد على أهل الملك . . . ولئن أجابنى إلى شىء مما أدعوه إليه لأطلقن عنه القيود يدي ، ولأركبن إليه بجندى ، ولأقدمنه حتى أطأ عقبه . . .

أحمد بن حنبل يسمع كل ذلك وهو صامت . . .

فيلتفت إليه المعتصم ويقول : ويحك يا أحمد ، ما تقول فيما أعرض عليك ؟

فقال أحمد بن حنبل : يا أمير المؤمنين ، اعطونى شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ! ! .

فلما طال المجلس ضجر المعتصم وقام ، وأعيد الإمام إلى معتقله ، وذهب إليه رجلان من أتباع ابن دؤاد لناظرته لعله يحيب إلى خلق القرآن . . . وجاءت مائدة ، فأكل الرجلان ، وأما أحمد فجعل يتعمل حتى رفعت . . .

وذهب أحمد بن أبي دؤاد إلى الإمام فى معتقله ، وقال له : - والله لقد كتب اسمك فى السبعة الذين قتلوا ولكنى سحوته ، ولقد ساءنى أخذهم إياك . . . واعلم أنه ليس السيف ؛ إنه السوط ، والضرب بعد الضرب . . . فانظر ما تقول ؛ وإبنى لا أرى لك

إلا أن تجيب أمير المؤمنين ؛ فلا يزيد الإمام على أن يقول إيتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وخرج أحمد بن أبي دؤاد ، ولم يلبث أن جاء رسول ينادى أحمد بن عمار صاحب الدار التي اتخذت معتقلا للإمام ، فخرج معه وعاد يقول : إن أمير المؤمنين يقول لك أجبنى حق أجنى إليك بنفسى فأطلق عنك يدي . . . فلا يزيد الإمام على قوله : إيتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وما زالت الرسل تأتي أحمد بن عمار ، فيذهب لمقابلة الخليفة ليعود إلى الإمام حاملا رجاءه حتى انقضى النهار وشرط من الليل ، فلما كان اليوم الثاني أدخل على المعتصم وجرت المناظرة بحضوره ، وكانوا يهربون من منازلة ابن حنبل في ميدان الكتاب والسنة إلى ميدان الفلسفة ، فيقول لهم : لا أدري ما تقولون ، فأتوني بشيء من كلام الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو خبر أو أثر . . . فيقولون يا أمير المؤمنين : إذا توجهت له الحجة علينا وثب ، وإذا كلمناك بشيء يقول لا أدري ما هذا . . . فيقول المعتصم : يا أحمد إنى عليك شفيق ، . . . ويقول أحمد بن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين والله إن أجابك فهو أحب إلي من مائة ألف دينار ، ومائة ألف دينار ، ومائة ألف دينار ، فيعد ما شاء الله من ذلك . . . !

ولما كان الزوال أمرهم المعتصم بالانصراف ، ولم يبق إلا أحمد بن حنبل وعبد الرحمن ابن إسحاق ؛ ودار الكلام بينهم : المعتصم يتلطف ويلين ، وعبد الرحمن يذكر مناقب أحمد وفضله ، وأحمد يقول ببني وبينهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا أجيبهم إلا إلى شيء منها ، وطال المجلس فقال المعتصم :  
أندعو أحمد بن أبي دؤاد ؟

فقال أحمد بن حنبل : ذلك إليك يا أمير المؤمنين .

فحضر ابن أبي دؤاد واشترك في المناظرة ، فلما امتد المجلس على غير فائدة لهم قام المعتصم . وأعيد الإمام إلى معتقله ، ومالبت أن دخل عليه الرجلان اللذان دخلا عليه بالأمس لمناظرته ، وجعلا يكلمانه حتى حان وقت الإفطار فجيء بطعام على نحو مما أتى به في الليلة السابقة ؛ فأفطر الرجلان وجعل الإمام يتعلل . . .

فلما رفع الطعام جاء رسول الخليفة يستدعى أحمد بن عمار صاحب دار المعتقل فذهب وعاد فقال للإمام : يقول لك أمير المؤمنين أجبنى حق أحضر إليك بنفسى . . . الخ فلا يزيد على أن يقول لهم : كتاب الله وسنة رسوله .

وكانت بغداد خلال هذين اليومين شعلة نار متقدة تملؤها الإشاعات والمهرج والمرج ، وامتلات سامراً — مقر قصر الخلافة — بوفود عامة أهل بغداد وخاصتهم فصارت بهم كالبحر الزاخر ؛ وليس منهم رجل إلا وعطفه مع أحمد بن حنبل ، وسخطه على الخليفة وعلى أحمد بن أبي دؤاد وسائر المعتزلة . . . وكانت أنباء ذلك كله تباغ الخليفة فيشعر كأن رجحانته توشك أن تهب عليه فتقتلع عرشه وتهوى به إلى مكان سحق ، فيأخذه الخوف ويلجأ إلى ملاينة الإمام لعله أن يجيب فتنهى الخنة وتهدأ نائرة الناس ، ولكن الإمام لا يعنيه ملاينة الخليفة ، ولا مؤازرة الجماهير ، فالأمر لديه أكبر من ذلك ؛ هو احتفاظه لله بما استرعى من أمانة ، فإن حفظ وصبر كان قدومه على الله قدوماً كريماً وله أجر ما امتحن ؛ وإذا فرط وضع كان قدومه على الله قدوماً مهيناً ، وحمل بين يديه تبعة تلك الجماهير التي ستقلده فيما يقول من خلق القرآن .

وجعلت رسل الخليفة في تلك الليلة العاصفة تأتي لاستدعاء أحمد بن عمار ، وجعل أحمد بن عمار يمض ويأني بكلام من أمير المؤمنين ، دون أن يشعر ذلك شيئاً ؛ فجاء أحمد بن أبي دؤاد ، فقال : يا بن حنبل ، إنه قد حلف أن يضربك ضرباً ، وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس . ! فقال أحمد بن حنبل : فماذا أصنع ؟ قال : تجيب الخليفة إلى ما يدعووك إليه ! ، فقال : لا . . . إلا بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وبانت بغداد وسامرا ساهرتين تتحدثان بمحنة الإمام الجليل . . أما الإمام فقد غفا غفوة ، قام على أثرها نشيطاً إلى وضوئه وتهجده وقراءته ، فلما صلى الفجر وأسفر النور بصبح اليوم الثالث أحست بصيرته شيئاً لا تراه الأبصار . . أحست مقادير الخنة كأنها شاخصة في الفضاء تنتظر أن تنفذ فيه ، فقال : « لخلق أن يحدث في هذا اليوم من أمرى شيء » .

قال أحمد بن حنبل : وكنت قد أخرجت تكفى من سراويلي ، فشددت بها قيود الحديد في قدمي أحملها بها إذا توجهت إلى الخليفة ، فلما كان صبح يوم الخنة قات لخلق أن يحدث في هذا اليوم من أمرى شيء ، وكنت بلا سراويل ، فخشيت إن حدث شيء أن أنعري ، فأعدت التكة إلى سراويلي وشددتها على ، وطابت من أحد الموكلين بي خيطاً أشد به الأقياد . . . !

وعلا النهار ، وأصيب المعتصم بشعور مضطرب ، فهو يريد أن يبطش بابن حنبل ، ولكن هيجة الجماهير تخيفه فتنبض يده عما يريد . . . ولكنه الفارس المعلم الذي لم



يعتد أن يرى نفسه جباناً في موقف من المواقف ، فكيف يستر ضعفه هذا اليوم عن أنظار من حوله ؟ ! لقد هداه شعوره المضطرب إلى أن يعلأ ردهات القصر وساحاته ومداخله ومخارجه بصنوف الجند حاملين ألوان الأسلحة لابسين لأمة الحرب الكاملة ثم أنفذ أمره في رجلين ممن لا يقولون بخلق القرآن فقتلهما ، وخيل إليه أنه قد سيطر على الموقف وظفر بإعجاب من حوله ، وحسب أن ذلك خليف أن يلتقي في روع ابن حنبل أن الأمر جد لاهزل ، فينثني عن عناده ويحجب إلى ما يدعو إليه !

قال الإمام أحمد : فلما شددت قيودي بالحيط الذي جاءوا به طلبت إلى مجلس الخليفة فجعلوا يعمرون بي من ساحة إلى ساحة ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط ، وغير ذلك من الزى والسلاح وقد حشيت الدار بالجند ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء ؛ حتى إذا صرت إلى الخليفة قال : ناظروه

وجرت المناظرة على نحو ما جرت عليه في اليومين السابقين ، حتى إذا جاء وقت الزوال خلا بي وبعبد الرحمن ، فقال لي : ويحك يا أحمد ، أنا والله عليك شفيق ، وإنني لأشفق عليك مثل شفقتي على هرون ابني ، فأجبتني . . فقلت : يا أمير المؤمنين اعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما طال المجلس ضجر وقام .

وكان يريد أن يصرف المحنة عن أحمد لما يجد من الخوف على عرشه ، ولكن ابن أبي دؤاد قال له : يا أمير المؤمنين : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخط قوله . . وقال إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن يخلى سبيله فيقال : إنه غلب خليفة . . فعند ذلك حمى الخليفة واشتد غضبه وأقبل على أحمد بن حنبل وقال : لعنك الله طمعت فيك فلم تجبني . . . خذوه اخلعوه ، اسجنوه .

قال الإمام أحمد : فأخذت وسجبت وخلعت وجمي بالعقابين أي عدة العذاب التي يشد إليها المبتلى ، وكان معي شعرتان من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فصرتهما في كم قميصي ، فقال له إسحاق بن إبراهيم : ما هذا المصروع في كمك ، فقلت : هما شعرتان من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد بعض القوم أن يحرق القميص ، فهام عنه . . فلما شددت إلى العقابين ، وجمي بالسياط نظر إليها الخليفة فلم تعجبه فأمر بأشد منها وأقوى ، فجيء له بما أراد ، وأحضر الجلادون الغلاظ ، فقلت يا أمير المؤمنين ، الله الله ،

هم تستحل دمي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولم آت شيئاً مما يهدر الدم . يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك !

قال الإمام أحمد : فكأنه أمسك ومال إلى صرف الحنة ، ولكنهم لم يزالوا به يقولون له : يا أمير المؤمنين : إنه ضال مضل كافر ، وإن دمه في رقابنا ، حق أقنعوه بإفناء الحنة ، فجاء له بكرسى وأحمد بن أبي دؤاد واقف على رأسه ، فتقدم الضارب الأول ومعه سوطه ، فقال له المعتصم : شد قطع الله يدك ! فشد الرجل بسوطين ثم تنحى ؛ وتقدم جلاد آخر ، وآخر ، كل يقول له المعتصم : شد وأوجع قطع الله يدك ، فيشد كل بسوطين ويتنحى ، وتوالى السياط كأنها جمر جهنم ، وأحس أحمد بتكة سراويله تحور خيوطها تحت الضربات القاطعة فلم يبق فيهما إلا خيط أو خيطان فطمع ببصره إلى السماء وقال : يا غياث المستغيثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أني قائم لك بحق فلا تهتك لي عورة ! وثبت الحيط الرقيق لما لم تثبت له خيوط التكة كلها ، وستر الله سواة الإمام أن تنكشف .. قال الإمام : واستمر الجلادون يشدون بسياطهم حتى أغشى على . فأمسكوا حتى أفقت وسكن عني الضرب فقام إلى المعتصم وقال : ويحك يا أحمد ، أجنبي حتى أطلق عنك بنفسى ؛ وهم يحيطون به ، فيقول لي أحدهم : ويحك ، إمامك قائم على رأسك فأجبه ، وينخسني آخر بقائم سيفه ويقول : تريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ فأقول : لا أجيب إلا لشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. فيعود المعتصم إلى كرسيه ويقول للجلاد : شد وأوجع قطع الله يدك ، وأخذ الجلادون يتبع كل منهم سابقه ، كل يضرب سوطين ويتنحى لمن بعده ، حتى يشتد بي الضرب ويعظم الألم فيذهب عقلي ويغمى عليّ ... حتى إذا أفقت وعاد إلى عقلي قام إلى نفسه وقال مثل مقالته . فلا أجيبه إلى ما يدعوني إليه ، فيقول عبد الرحمن بن إسحاق لي : من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت أنت بنفسك ! هذا يحيى بن معين ، وهذا أبو حشمة ، وهذا فلان ، وهذا فلان ، وجعل يعدد أسماء من أجاب ، فلا أجيبه إلا بنحو مما كنت أقول لهم ... فقال المعتصم للجلاد شد وأوجع ، فأقبل على الجلادون كل يضرب سوطين ويتنحى ؛ ثم جاء إلى الثالثة فدعاني فم أعتل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس به ؛ فأرعبه ذلك من أمرى ... وكان النبأ قد تسرب إلى الجماهير الزاخرة ؛ فضج الناس وهاجوا ، وعظم عليهم الخطب تخاف المعتصم ، وأمر بإطلاقه لفرجه ، قال ميمون بن أبيض : « أخرج أحمد بعد أن اجتمع الناس وضجوا حتى خاف السلطان » وفان المعتصم بعد أن أطلقه : « لولم أفعل ذلك لوقع شر لا أقدر على دفعه » .

قال الإمام أحمد ، فلما أفقت لم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت وقد أطلقت الأقياد من رجلى وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين .

وحمل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد ، وهو صائم فأتوه بسويق ليفطر من الضعف فأبى ، وأتم صومه ، ولما حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي : « وصلت في دمك ؟ » فقال له أحمد : قد صلى عمر وجرجه يشعب دواء . فسكت . . .

\*\*\*

وعاد أحمد إلى منزله لأول مرة بعد أن غادره منذ أكثر من ثمانية وعشرين شهراً ، وجاءه الجراح من قبل الخليفة يعالج له جراحه ، وكان المعتصم يخشى أن يصاب أحمد بأذى من تلك الجراح ، فكان يسأل عنه نائب بغداد كل يوم ، وكان النائب يرسل من يسأل عنه كل يوم ، فلما شفي فرح المعتصم وسكن خوفه على ملكه .

وسما أحمد عن الحقد والضغينة ، فلم يذكر أحداً ممن آذوه بسوء ، وجعل فلا منهم في حل إلا أهل البدعة ، فقال له ابنه صالح في ذلك ، فقال يا بني : « وليعفوا وليصفحوا » ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسبيك ؟ وقد قال تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، فإذا كان يوم القيامة وجئت الأمم بين يدي رب العالمين ، نودوا : ليقم من كان أجره على الله ! فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا ، وإني لأرجو أن أكون واحداً منهم !

رحم الله الإمام ، لقد كان إماماً في كل مكرمة .

## رجاء...

على حضرات الذين بيدهم إيصالات الاشتراك في كتاب آدم عليه السلام أن يتفعلوا — مشكورين — بتقديمها أو بتقديم قيمتها لحضرة الأخ محمد عمر بالمركز العام للإخوان المسلمين في مدة غايتها آخر شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ ؛ إذ سيصدر الكتاب — بإذن الله — في هذا التاريخ ، وسيباع بعد ذلك بمبلغ ١٢٠ ملياً

# الأرض

إلى أرمه النيل في عهدها المجدد

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

بين ذلّ الترى ، ودَمَع الحفَاةِ هَبَّتْ الأرضُ من عميق الشَّباتِ  
نَفَخَ الصُّورُ في ربابها .. فقامت تحصدُ الظِّلمَ في صدور الطُّغاةِ  
ضربَ اللهُ ليلَهما بضُجَى البَغْسِ .. فضجَّتْ قبورها بالحياةِ  
وأفاقت من غَشِيَةِ الأفقِ اللَّسَطُومِ بالسَّوطِ من جميع الجهاتِ  
صَرَخَاتُ الرِّيحِ في الفَلَوَاتِ وعُواءُ الجراحِ في المِهْجَاتِ  
وبكاءُ القطْمانِ وهى تناجي رَبَّهَا بالسَّرائِرِ المَوْجَعَاتِ  
تتشكى .. فيشْمَخُ السَّوْطُ في الجَوِّ .. فتَنْفِضِي شَقِيَّةَ النُّظَرَاتِ  
نَهَرَتْهَا السنينُ من عهد « فِرْعَوْنَ » وَأَلْقَتْ بها على الطَّرَافِ  
باحثاتٍ عن لُفْيَةِ العيشِ فيما عافَهُ العيشُ من قديم الفَتَاتِ  
شارباتٍ دُموعَها .. آكَلَاتِ يَأْسَها من حَوَافِرِ الظُّلُمَاتِ ..  
مَوَكِّبَاتٍ إِثْرَ مَوَكِبٍ .. في رمادِ البُؤْسِ تَمْشِي حَزِينَةَ الخُطُواتِ  
وهي ما بين جازِرٍ وذبيحِ حَسْرَةٍ في مَحَاجِرِ ذَاهِلَاتِ  
تنظرُ الظِّلمَ وهو يَنْحَرُ فيها نَظَرَ العُمَرِ لِلْحَتُوفِ العَوَاتِي ..  
لا تَطْلُقُ الكلامَ .. لا تَسْتَطِيعُ الِثْبَاتَ حتَّى يَهْمِسَ الزُّفَرَاتِ ..  
قَيَّدَتْ .. ثم أَخْرَسَتْ .. ثم سَيِّقَتْ لِلأَسَى ، لِلأَنِينِ ، لِلْحَسَرَاتِ  
يَشْهَقُ الرِّيفُ في نَراها يَشْكُوا هُ .. فَرُدِّيه أَفْتَكُ الطَّغَمَاتِ أ

مِنْ قَدِيمِ الْمَصُورِ ، وَهِيَ نَهَائِي بِعَوِيلِ الرِّيحِ وَالسَّافِيَاتِ  
 وَالشَّوَادِفِ فِي هَوَاهَا تُغْنِي بِدَمُوعِ الْمُضْطَّعِينَ الْعُرَاةِ . . .  
 خَدَعُوهَا بِخُضْرَةِ الزَّرْعِ وَالْيَنْبُوعِ يُجْرِي وَالسَّخَرُ سَخَرُ النَّبَاتِ  
 وَطُيُورُ الصَّبَاحِ يَا أَرْضُ تَسْدُو فَاسْمِعِيهَا . . . وَرَدَّ دِي النِّفَمَاتِ  
 وَرِعَاةُ الْأَغْنَامِ يَا أَرْضُ آتِينَ . . . فَخَفِي ، وَهَلَلِي لِلرُّعَاةِ ...  
 وَانْظُرِي الْقَانَعَ الْمُتَوَجَّعَ بِالشَّمْسِ ، أَمِيرَ الْحَقُولِ وَالرَّبَوَاتِ  
 أَزْرَقُ الثَّوْبِ ، أبيضُ الْقَلْبِ رَاضٍ مُطْمَئِنٌّ الشَّقَاءِ وَالنَّكَبَاتِ  
 خَدَعُوهَا . . . وَخَادَعُوهُ . . . فَأَخْتِيَا هَا . . . وَلَمْ يَجْنِ غَيْرَ هَذَا الْمَوَاتِ !!  
 انْظُرِيهِ يَمْسُ غَافِلَةً الطَّيْنِ فَيَأْتِي بِأَغْرِبِ الْمُعْجِزَاتِ  
 رَاكِعًا فِي الْحَقُولِ ، وَالتَّخْلُ حَوْلَيْهِ ، كَقُومِ تَهَيَّأُوا لِلصَّلَاةِ . . .  
 يَضْرِبُ الْفَأْسَ بَاكِيًا . . . فَتَرِينَ الْحَقْلَ فِيهَا مُهْدَلًا الثَّمَرَاتِ  
 وَتَرِينَ الْأَعْوَادَ ، وَالسُّنْبُلَ الْمِيَّادَ ، وَالْبَرْقَ ، مُوَكِّبًا مِنْ حَيَاةِ  
 سَاقِهِ جَائِعًا لَطَاغِينَ . . . رَدُّوهُ إِلَى الْكَوْخِ جَائِعَ اللَّفْيَاتِ  
 يَتَشَهَّى الْوُعُودَ ، وَالثَّمَرَ الْمَوْعُودَ مِنْ كُلِّ تَقَرُّقٍ فِي حَصَاةِ  
 وَكَلَى وَجْهِهِ أَسَاطِيرُ ظَلَمٍ حَيَّرَتْ نَارُهَا عَقُولَ الرُّوَاةِ . . .  
 فَسَّرْهَا يَا أَرْضُ . . . إِنِّي مِنَ الْعَجْزِ تَعَبَّدْتُهَا عَلَى نَغْمَاتِي  
 سَقَمْتُ فِيهَا الشَّيْءَ فِي ظِلْمَةِ الْكَوْخِ بُكَاءَ مَسْحَرِ النَّفَمَاتِ  
 فَكَشَفِي أَنْتِ سِرَّهَا . . . وَاتْرُكِهَا بَيْنَ أَحْزَانِهَا وَاسْمِعِ الْحَيَاةِ  
 أَزْأَرِي ، وَاصْرُخِي ، وَضَجِّي . . . فَقَدْ طَالَ لِي بِجَنَابِكَ دَسُّ نَارِ الشُّكَاةِ  
 طَالَ فِيكَ الْهَرَّانُ ، وَالذَّلُّ ، وَالتَّسْبِيحُ لِلْغَارِقِينَ فِي الشَّهَوَاتِ . . .  
 كُلُّ ذِي شَارِبٍ عُتِلَ تَمَطَّتْ ذِرْوَتَاهُ عَلَيَّ زَنِيمِ الصَّفَاتِ  
 تَمَحَّدَ الْخَيْلُ زِينَةَ الظَّلَمِ حَتَّى زَايَلَتْهَا الْأَنْسَابُ فِي الْمَكْرُمَاتِ



شَدَّ أَرْسَانَهَا ، وَزَجَرَ لَا لِأَحْزَبٍ .. بل لِلْفَخَارِ وَالتَّرَهَاتِ  
 عَرَقُ الْكَادِحِينَ خَمَرٌ بِكَفِّهِ .. وَأَنْفَاسُهُمْ زَمِيرُ الشَّقَاةِ  
 خَبٌّ فِي الْبُغْيِ وَالْمَظَالِمِ حَتَّى أَغْثَرَتْهُ فَوَاجِيءُ الْحَادِثَاتِ !  
 قَرَعَ الْحَقُّ بَابَهُ .. فَإِذَا الظُّلْمُ مِنْ الرُّوعِ ذَرَّةٌ فِي فَلَاةٍ ..  
 وَإِذَا الظَّالِمُونَ صَرَخُوا عَلَيْهِمْ كَفَنُ الظُّلْمِ شَائِهَ الْمَخْزِيَّاتِ !  
 قَرَعَ الْحَقُّ بَابَهُ .. فَإِذَا الطَّاغُوتُ وَهُمْ عَلَى بَقَايَا رُفَاتِ  
 وَإِذَا قِصَّةُ الْمَوَاكِبِ وَالْأَسْبَابِ تَهْوِي ذَلِيلَةَ الْكَلِمَاتِ !  
 قَرَعَ الْحَقُّ بَابَهُ .. فَإِذَا الْأَرْضُ ضُحَى حَوَالِيهِ بَغْتَةً لِلطَّغَاةِ  
 وَظِلَامٌ لِكُلِّ بَاغٍ ، وَنُورٌ لِلْمَسَاكِينِ سَاطِعُ الرَّحْمَتِ ..  
 بَعْدَمَا شَابَتِ الرِّزَايَا عَلَى مِصْرَةٍ .. أَتَتْهَا السَّمَاءُ بِالنَّجْدَاتِ  
 دَهَمَ الْفَجْرُ لَيْلَهَا بِضِيَاءٍ مِنْ أَكْفِ الْمُدْرَعِينَ الْكَمَاةِ  
 يَحْمِلُ الْحَقُّ .. وَالْحَيَاةُ .. لَشَعْبٍ أَوْزَدُوهُ مَهَاوِي التَّهْلُكَاتِ !  
 ذَادَ عَنْهُ الْأَسَى .. وَكَانَ عَلَى الْأَكْوَاخِ صَبْرًا مَدْمَدِمَ اللَّعْنَاتِ  
 ذَادَ عَنْهُ الرُّثَى .. وَكَانَتْ لُعَابِيْنَ جُحُورٍ تَجَبَّرَتْ لِلْحُوءَةِ ..  
 عَشِيقَتُ مَزْخَفِ الصَّدُورِ ، فَرَاخَتْ تَتَشَهَّى الضَّمَاثِرَ الْغَافِيَاتِ ..  
 ذَادَ عَنْهُ الْمَوَانِ ، وَهُوَ دَخَانٌ رَاحَ يُذْزِرِي خَوَافِيَ الشَّائِنَاتِ  
 وَمَضَى يَهْدِمُ الصُّرُوحَ الْعَوَاتِي مِنْ بُرُوجِ الْمَفَاسِدِ الْغَاشِمَاتِ  
 لَمْ يَكْذُ يَزْأُرُ النَّفِيرَ عَلَى الشَّطَائِنِ حَتَّى تَبَرَّجَتْ لِلشَّتَاتِ  
 وَتَهَاوَتْ أَسْوَارُهَا ، وَتَلَاشَتْ مِنْ ذُرَاهَا كِبَارُ الْعِظَمَاتِ ..  
 جَلَّ رَبِّي يَأْيُهَا الشَّعْبُ .. هَذَا يَوْمُكَ الْخَيْءُ بَعْدَ طَوْلِ الْمَمَاتِ  
 فَانْفُضِ الذَّلَّ عَنْ نَوَاصِيكَ .. وَارْفَعْ وَجْهَكَ الْحَرَّ فِي سَمَاءِ الْحَيَاةِ  
 وَاشْهَدِ الْأَرْضَ ، وَهِيَ تَشْمَخُ كِبْرًا بِرُبَاهَا عَلَى قُبُورِ الطَّغَاةِ ..

(١)

« سبحان ربي الأعلى »

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

أَيُّ سِرِّ يُودَى بِدُنْيَا حُدُودِي      كُلَّمَا هَمْتُ فِي تَجَلِّي سُجُودِي  
كَيْفَ تَذَرُونِ « سُبْحَانَ رَبِّي » قِيُودِي      كَيْفَ تَجْتَازُونِي وَرَاءَ السُّدُودِ  
كَيْفَ تَسْمُو بِفِطْرَتِي وَوُجُودِي      عَنْ مَفَاهِيمِ كَوْنِ الْمَعُودِ  
كَيْفَ تَرُقُّ بِطِينَتِي وَجُودِي      فِي سَمَوَاتِ عَالَمٍ مِنْ خُلُودِ  
أُتْرَاهَا رُوحًا مِنْ الْمَعْبُودِ      قَدْ جَلَّتْ ذَاتُهَا لِعَيْنِ شُهُودِي

(٢)

فناء ... وبقاء

رَأَيْتُكَ فِي خَيَاكِ وَالْبُكَاءِ      نَهَاراً وَفِي اللَّيْلِ مُخَوَّلِكَ  
رَأَيْتُكَ مِثْلَ الَّذِي تَبْتَغِي      جِهَاراً ، وَلَكِنْ بِالْإِسْكَاءِ  
رَأَيْتُكَ تَشْرِقُ فِي خَلْقِكَ      فَيَبْتَزُّ رُوحِي سَنَا وَجْهِكَ  
رَأَيْتُكَ تَحْبُو خَلَائِيَا كِيَانِي      عِيُونًا تَرَاكَ وَتَعْنُو لَكَ  
فَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْفَنَاءَ بِـ « الْأَنَا »      وَأَنْ بَقَائِي فَنَاءِي بَكَ

# شيء عن البانيا المسلمة المنكوبة

للسيد وهي سليمان الألباني

على الشاطئ الشرقي لبحر الأدرياتيك وحول مرتفعات تومور وتازابوش ، وفي حدود يوغوسلافيا الجنوبية وحدود اليونان الغربية تقوم أرض البانيا ( أو بلاد الأرناؤوط ) ويعيش الشعب الألباني .

ينتمي الشعب الألباني الحديث إلى آبائه الأقدمين ( إليريه ) ، وهو شعب قديم على ظهر البسيطة يرجع العلم به إلى حوالي سبعة قرون ق. م. أو يزيد ، وهو أقدم شعب حل أرض البلقان وعمرها قبل الهيلين آباء اليونان !

وفي الوقت الذي كان فيه معظم سكان أوروبا يعيشون قبائل وشيعة تتقاتل على القوت وتعيش عيش الغاب ، كان للشعب الألباني نظام ملكي عادل ، وحقوق وواجبات متبادلة بين الحكومات وأفراد الأمة ، وكانت له قوة وعظمة ( على قلة عدد أفرادها ) بلغت أحيانا من الجرأة أن تغير على شواطئ بلاد الرومان في عصر ثوتنا ، وتعود محملة بالغنائم والأسلاب !

\*\*\*

ثم أتى على ذلك الشعب حين من الدهر ضعفت فيه سلطة الحكومة وقامت المصلحة الفردية العصبية القبلية مقام الإخلاص والمساواة . فأصبح من السهل على الرومان محاربتة انتقاما وتشغيا ، والاستيلاء على مواقع بلادهم العسكرية الهامة ، وقد كان ذلك فسقطت ألبانيا تحت النير الروماني في عهد الملك كثرني الذي قبض عليه الرومان وأرسلوه إلى روما كأسير حرب .

ومرت أزمان وأزمان . . ثم أشرقت شمس القرن السابع الميلادي ، وبلاد الإلير تذوق المرح من عدوها الرومان ، وتذيقه الأمرين في ثورات دائمة لا تهدأ إلا لثبور ، حتى أدركت روما أن ليس ثمة خير مرجو من هذه البلاد ، وأن ضررها أكثر من نفعها ، فقررت مغادرة ألبانيا . . فخرجت تاركة وراءها ( بفعلها ) أرضا قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ، بل فيها شر مستطير ، أشقاها طويلا ، من قبائل وإقطاعيات تقاتل بعضها بعضا .

\*\*\*

وفي القرن الخامس عشر كان القدر قد كتب فيه لشعوب البلقان أن تدخل طورا آخر من الحياة وأن تشهد انقلابا عاما في حياتها ، في أوضاعها المختلفة ، في حريتها وعقيدتها ، في نظرها إلى الكون وإدراكها قيمة العيش ، كان الله تعالى قد كتب ذلك ووضع مقابله التنفيذ بين السلطان مراد ونعمود وغيرهما ، فبعد حروب قاسية مريرة دامت أكثر من عشرين سنة سقطت ألبانيا كغيرها من دول البلقان أمام العثمانيين منهوكة القوى مضعضة . وكان العثمانيون مسلمين في قلوبهم الإيمان ، وفي أيمانهم سيف الله وفوق أيديهم يد الله ، فدخل الألبانيون في دين الله أفواجا !

ومنذ ذلك الوقت الجميل سنة ١٤٨٠ يوم أشرق الإسلام على بلاد تعبد غير الله أو تشرك به غيره ، غمر النور تلك البلاد ، ونشر ألويته ونثر حكمه ؛ فتحقت آية من آيات الله تعالى في أن الإسلام سيظهر على الشرك في كل مكان « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » حتى أصبح الإسلام اليوم يشكل هناك غالبية ٦٨ ٪ من مجموع السكان .

خدمت ألبانيا الدولة العلية بقلبها وإيمانها ، بغيراتها وشبابها ، برجال الفكر والساعد ، فكان منها في الدولة العلية القواد العظام والولاة الدهاة والكتاب الكبار أمثال كويرلى وسامى فراشرى ( صاحب قاموس الأعلام أشهر قاموس في الجغرافيا والتاريخ في وقته ) ، ووصل الجندى الألبانى أقصى البلاد الإسلامية واجتمع إلى إخوانه المسلمين في مختلف بقاع الأرض ، وسكنت عظامه في بلاد لم يعرفها ولم تعرفه إلا بلا آله إلا الله ، كما داس بقدمه محاربا في سبيل مجد الإسلام أرض الكفر وهو ينشد : وصلنا إلى القولجا في سبيل الله وطاعة لأمر السلطان !

\*\*\*

وفي سنة ١٩١٢ تركت الدولة العلية ألبانيا مكرهة مرغمة لا تملك قوة البقاء من نفسها ، ولا يملكها ذلك أهل البلاد ، بعد أن اتقادت إلى جمعية الاتحاد والترقى وبني ترك الخ ، وأرادت أن تكون دولة تركية فقط ، وقد كانت ولكن يا أسفاه بعد أن أضاعت مجداً وهيبة وسلطاناً كان لها في ظل الإسلام .

ومنذ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٢ أصبحت ألبانيا دولة إسلامية مستقلة ( بعد أن اغتصب منها في مؤتمر السفراء ، بلاد قوصوه ليوغوسلافيا وجامريا لليونان ) تقوم في قلب أوروبا . يتنادى فيها المؤذن خمس مرات في اليوم الله أكبر الله أكبر . . . حتى على الصلاة .

\*\*\*

كان بعض الناس يرى عجبا أن تقوم دولة مسلمة في قلب أوروبا النصرانية ، ترعى شئون حياتها بنفسها وللإسلام فيها أسمى نصيب من العناية والتقدير ، فكانوا يودون لو يطفئون نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون !

كانت ألبانيا إلى ما قبل سنة ١٩٣٧ دولة أمة محافظة على شعائر دينها ومقومات الروح الإسلامية فيها ، بها المساجد المتعددة ( خاصة اشقودرة التي يقوم بها أربعة عشر مسجداً بمآذنها الرفيعة السامقة ) والمدارس الدينية المختلفة والعلماء الأكابر أمثال الحاج وهبي ديبيرا ، الحاج يوسف قلندى والحاج سليمان غادجى ؟ ولكن . . . قاتل الله الجهل فالإلحاد ، ولعن الكفر بالأديان والسياسة الحبيثة وأهلها ، إذ انغمست هي الأخرى في حمأة الحرب الثانية مكرهة وقد كانت ميدانا من ميادينها من سنة ٩٣٩ — ٩٤٤ ، فربط بعض الخونة مصلحتها بمجلة الدب الأحمر تقودها إلى الموت الروحي والانتحار الوطنى . . . !

. . . بين عشية وضحاها انقلبت حكومة البانيا المسلمة إلى حكومة شيوعية ( ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ) يقوم بشئونها سفاكون للدماء والمكرمات ، في مجازر ( على صفة محاكم ) لم يشهد لها العالم مثيلاً . وإنى ذا كر لك أيها الأخ القارىء نموذجاً غير مختار على فقدان الإيمان وانعدام الإحساس بالرحمة والإنسانية في أولئك الناس :

في معركة من معارك الجهاد سقط أحد الأحرار المسلمين مثقلاً بجراحه ، لا يستطيع حراكاً . . . فقبض عليه وأدخل في مستشفى حيث ضمت جراحه وعادت إليه صحته ؟ ثم تعين يوم لحاكمه أمام محكمة الشعب ( ! ) لحكم عليه بالإعدام دون أن يعطى فرصة للدفاع عن نفسه ، ولكن هل يكتفى أولئك بالإعدام الذى يخلص من الحياة في زمن قصير ؟ لا ، فلا بد من تعذيبه قبل إعدامه زيادة في الانتقام والتشفى وليكون عبرة للقريب والبعيد ، . . . أمام محكمة الشعب وعلى مشهد من الناس المحتشدين ، وقف النائب العام يقول :

يا حضرات القضاة ! أيها المحققون من الشعب ، أمامكم هذا المجرم الذى قتل الاشتراكيين

الأحرار ( ! ) بهذه اليد كان يمسك المدس والرشاش ليقتلنا فأكسروها ! بهذا اللسان كان يدعو إلى الخيانة والقتال فسلوه ! بهذه العين كان يتعرف مواقعنا ويفضح أمرنا فاستملوها ؛ فكسرت يدها ، وسل لسانه ، وسمكت عيناه ، بين الهتاف ومظاهر الشماتة من الأعداء ، ومات المسكين موتات قبل أن ترهق روحه !

أما ما صنعوه في بيوت الله تعالى وعلماء المسلمين وأهل الفيرة الدينية عامة ، فهي فظائع نخشى أن نذكرها فلا يصدفها الذين لا تزال على أعينهم غشاوة من البلاء ، أو حسن الظن في إنسانية أعداء الإسلام .

\*\*\*

وبله ! كأن هذه خيالات وأحلام ! في ألبانيا ، تلك البلاد الهادئة المؤمنة التي تنظر إلى الحياة نظرة دين وروح ، من شيوخ ذكر الله تعالى على ألسنتهم في كل آن ، من شباب كان منية الشيوخ وأمل الوطن ، في تلك البلاد ، أولئك الشيوخ القليلين اليوم ، وذاك الجيل من الشباب . . يكاد نور الإسلام يخبو ووصاياه تترك بل وتحارب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

ألبانيا المسلمة منكوبة اليوم في إسلامها قبل كل شيء وفوق كل شيء ! ولكن . . لا باطل جولة ثم يضمحل ، وللطفيان دولة ثم تدول ، فسيعيد أحرار الألبان الكثيرون بأذن الله تعالى بلادهم إلى حياتها الماضية ، وسينشر الدين هناك لواءه عاليا خفاقا وهو يتلو قول الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ) .

ولتعودن ألبانيا قسماً من نور الإسلام في آفاق أوروبا المظلمة النائمة .  
ولتهتزن في مآذنها غداً أو بعد غد بهتات الحق : الله أكبر ، \*

\* كاتب هذا المقال عالم ألباني فاضل يقيم في دمشق ، وهو نفثة جرح غائر من جراح المسلمين يجد ألمه كل مسلم ، وقد أعجبنا فيه الأمل الحى المشبوب الذى يجعلنا نستبشر دائماً خيراً ، ونقرأ فيه وفي أمثاله ملامح عالم جديد .  
« التحرير »

## المجلد الأول

من « المسلمون »

يسر إدارة المجلة أن تعلن أنها بصدد إعداد مجموعة السنة الأولى مع الفهرس مجلدة تجليداً أنيقاً . وثمنها مائة وخمسون قرشا مصريا ، يضاف إليها أجرة البريد .

فعلى حضرات الراغبين في اقتناء المجموعة أن يبادروا إلى ذلك مشكورين

إدارة المجلة



# في أفق العالم الإسلامي

## تونس

\* « منذ احتلال بلاد الجزائر سنة ١٨٣٠ بدأت فرنسا توجه أنظارها إلى تونس . وقد بدأ التدخل الأجنبي يفسر إلى تونس ويتسع شيئاً فشيئاً في القرن التاسع عشر ؛ ففتحت أبواب البلاد للجيالات الأجنبية ، وشرع الأمراء في استقدام الفنيين الأجانب وإعطائهم بعض الامتيازات ؛ مما حمل القناصل على التدخل لحماية مصالحهم ، وبهذه الطريقة تمكن هؤلاء القناصل من توطيد علاقاتهم بالبلاد والتأثير عليه ، وخلق المشاكل بينه وبين الدول بسبب المشروعات الإصلاحية التي كان القناصل يوعزون بإدخالها ، لا بقصد الإصلاح وإنما بقصد إحداث الاضطرابات وتقويض أركان الحكم في البلاد ، ثم حملوا الدولة التونسية على أخذ قروض من أوروبا ، وتمكنوا بدعوى حماية هذه الأموال من التدخل الفعلي في شئون البلاد ، وهكذا ضيقت هذه الدولة الخناق على تونس ، ووضعت في عنقها أغلالاً عجزت عن التخلص منها فيما بعد . »

وقد أدت هذه الحالة إلى فرض ضرائب مرهقة للشعب لأداء الديون التي أنقلت كاهلها ، ونتج عن هذا التصرف قيام ثورة في البلاد بزعامة علي بن غداهم سنة ١٨٦٤ م . وأمام الضغط الدولي وتخرج الحالة سلمت مصلحة الجمارك للأجانب ، وتكونت لجنة مالية دولية تحت رئاسة الجنرال خير الدين سنة ١٢٨٦ هـ ( ١٨٧٠ م ) وقد وجدت اللجنة الديون التي بلغت ١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وأصبحت هذه اللجنة ميداناً للتنافس بين الدول ، واتخذتها إيطاليا وإنجلترا وسيلة لمقاومة فرنسا ، وعملت فرنسا على إحباط أعمال هذه اللجنة حتى تزداد أحوال تونس استياءً واضطراباً فتتسلم هي مقاليد الأمور وحدها . واتخذت من المناوشات البسيطة التي كانت تحدث على الحدود بين التونسيين والجزائريين سبباً للتدخل المباشر في شئون البلاد .

وبالرغم مما تعهد به الباي — محمد الصادق في ذلك الحين — من دفع الغرامات وضمان الأمن زحفت الجيوش الفرنسية من الجزائر على تونس بدون سابق انذار ، بينما نزلت قوات أخرى من البحر في ميناء بنزرت ومنطقة طبرقة . وبعد معارك لم تدم طويلاً وصلت القوات الفرنسية في يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨١ م . وحاصر الباي في قصره ، وعرض عليه قائد الجيش الفرنسي معاهدة ( باردو ) وأجبره على إمضاءها ، وهكذا فرضت الحماية وظل احتلال الجيوش الفرنسية لعدة مناطق من البلاد ، وصارت هذه المعاهدة المفروضة هي سند الاستعمار الفرنسي لتونس من يومئذ ، وأصبح الشعب يعيش تحت كابوس من الإرهاب لا نظير له ؛ فالحرية العامة لا وجود لها : فلا صحافة حرة ، ولا حرية اجتماع أو قول أو تنقل ، بل الاستناد إلى القوة وفرض الأحكام العسكرية لإخضاع البلاد ، وتسكيم الأفواه . »

\*\*\*

\* اقرأ المسلمون ( الممدد الرابع ) من السنة الأولى .

وقد رأينا أن نرجع إلى سماحة السيد الفاضل عبي الدين القليبي الزعيم التونسي وضيف مصر الآن لنقف منه على حقيقة الوضع في تونس ، وما يراه في قضيتها؛ ففضل بأن كتب إلينا البيان الآتي :

« لقد كتبنا تتوقع للقضية التونسية ومثيلاتها من قضايا الأمم المطلوبة على أمرها في منظمة الأمم مثل هذا الإخفاق لأنها تمحض هذه القضايا على ضوء ما تقوم به الدول الكبيرة من إعداد للحرب المقبلة وتنظيم لحططها ومواقفها وما تتطلبه من إمدادات .

فندعج أمريكا وإنجلترا وأذنانهما للاستعمار الفرنسي ، وخنق للاضطهاد والقتل والفرس في شمال إفريقيا إنما هو تدعيم للخطوط الأولى للحرب ، وتأمين للقواعد التي أقاموها لها هنا وهناك وعمل للقضاء على كل حركة تكون خطراً فيما وراء الواجهة عند قيام العدو بهجوم مفاجئ .

وقد شاهدت تونس حركة من هذا القبيل أو ثورة من الفرنسيين ضد التونسيين مثل التي تقع اليوم في تونس قبل الحرب العظمى الأولى ١٩١٤ : ١٩١٨ - في حوادث « الجلاء » - تقتيل وسجن وتضريد ، كما شاهدت قبل الحرب العالمية الأخيرة حوادث مماثلة في ٩ أبريل ، ونحن الآن أمام الحرب الثالثة فن الضرورى أن تمثل فرنسا نفس المأساة على مسرح تونس ومراكش وما ، فتسوق جيوشها وشرطتها وعصابات المدنيين من رعاياها يحملون مختلف الأسلحة يهاجمون بها العزل الأمنيين يهدمون عليهم بيوتهم ويعتدون على شرفهم وأموالهم يقتلون ويأسرون وينشرون الرعب والفزع ، بتأييد أمريكا وإنجلترا وإعانتها استعداداً للحرب الآتية وتأميناً لمواقفها وخطوطها الأولية .

إن أمريكا تريد أن تحكم شمال إفريقيا بواسطة فرنسا التي تسيطر على هذه الأقطار وأن تجعل منها الحارس الأمين على القواعد والخطوط الأولية وحتى على الملايين من الأفارقة الذين هم عدة الحرب ، ويمكن لفرنسا أن تقدمهم لأمريكا عند الحاجة كما تقدم أي شيء آخر وبهذا الاعتبار لا يمكن لأمريكا أن تقف من قضايا المغرب لدى منظمة الأمم غير الموقف الذي وقفته .

ثم إن فرنسا اليوم كدولة وحكومة لا وجود لها لأنها أصبحت تحت سلطان الشركات وأصحاب رؤوس الأموال يتحكمون في مصائرهم ويوجهونها ، حيث يعتقدون أن مصالحهم تنمو وتستفيد . هذه الشركات تقوم في فرنسا وتحتكم فرنسا ولها فروع في شمال إفريقيا تحكم ويحكم القائمون عليها شمال إفريقيا . فأصحاب المزارع الواسعة والمناجم والمصانع والبنوك هم الحاكمون بأمرهم ، وهم الذين أشعلوا هذه الثورة دفاعاً عما اغتصبوه من ثروة ونفوذ ، ونظموا لها عصابات الاغتيال والتخريب وأدمموا شركائهم في باريس بالجند والعتاد ليأمنوا مصالحهم ومصالح الشركات الأمريكية الكبيرة التي هم على صلة بها كصلة تاجر القطاى بتاجر الجملة وليحققوا لحياتهم كسب الحرب بالقضاء على كل حركة وطنية تقوم حيث الخطوط الأمامية للحرب والقواعد والحصون .

فحرب الهند الصينية التي يسميها عقلاء الفرنسيين الحرب القذرة تقوم منذ سنوات على هذا الأساس ، واشتركت فيها أمريكا لذلك الغرض وأنفق فيها الشعب الفرنسي أمواله الباهظة وشبابه الفضل لحماية مزارع الشاي وغابات السكاوتشوك ومناجم القصدير التي تملكها بعض الشركات الفرنسية . وأقل ما نتج عن معاملة فرنسا لقضية الهند الصينية بالحديد والنار أن سيطرت الشيوعية هناك على الموقف وانفتح ما بين الفيتنام والصينيين من حدود .

فمعالجة قضايا المغرب ومثيلاتها تقع على ضوء هذه الحقائق والمصالح الاقتصادية والعسكرية لهذه الدول . أما منظمة الأمم فهي لمهابة لصغار الأحمال تحول اتجاههم عن الأهداف الحقيقية ، وتخدع منهم الأسماك والأبصار .

إن للدول الاستعمارية مصالح حيوية في بلاد العرب والشرق عامة اقتصادية وثقافية - وهي مصدر البلاد - واستراتيجية لم يقع في يوم من الأيام استمالتها كسلاح للدفاع عن مصالح العرب والشرقين ، بل إن أوروبا وأمريكا قد أخذت تضغط ضغطاً اقتصادياً على إيران ومصر مثلاً لترغبهما على قبول أوضاع معينة هي أولاً وقبل كل شيء لفائدة تلك الدول الاستعمارية ، ومن المؤلم أن هذا الضغط لم يثر اهتمام بقية بلاد العرب والشرق فتتعاون على إحباطه .

هناك جبهة استعمارية متكئة مستكاملة لوسائل القوة والعمل أضحت تملأ كل ميدان ، ومنها ميدان الصراع السياسي في المنظمة الأممية ، وهي تريد أن تخضع لها كل شيء وبكل الوسائل فلا مناص للمظلومين من التكتل والاتحاد في جبهة مقابلة لحماية وجودها أولاً وصيانة مصالحها ، تقوم هذه الجبهة بإيجاد التوازن وإعداد كتلة أخرى تقف فيها مجتمعين لحماية المثل العليا وحماية البشرية من أضرار الحروب ، وحبذا إذا كانت هي الكتلة الإسلامية التي ينشدونها المسلمون جميعاً ، ولنترك هذه المنظمة الأممية التي أصبحنا فيها لا نستفيد ولا نفيد بل أضحيينا آلة لتنفيذ ما تملبه الدول الكبرى المسيطرة عليها من الدسائس الاستعمارية فقد آن أن نغارف هذه المنظمة غير آسفين .

أما شعوب المغرب فهي تحترق تحت وسائل القمع الفرنسية القاسية وإن الشعوب التي تعطف عليها لا تملك لها نفعا لأن قواها غير منظمة فهي لا تفيد نفسها فضلاً عن أن تفيد غيرها ، وتلك هي الحقيقة التي يجب التصريح بها مهما بلغت من الرارة والإيلام ؛ فنحن الآن في عصر وحالة يجب أن نواجه فيها الحقائق .

\*\*\*

هذا هو موجز وضع فرنسا الظالم من وطننا العزيز تونس ... والمأساة بذلك قديعة مستمرة وما الذي حدث هذا الشهر إلا حلقة من حلقات ... ونرجو أن تكون الأخيرة ، ويمكن أن نكون كذلك إذا استمر الكفاح رغم كل تضحية ، وقد نفاء لنا كثيراً بالتجاوب السريع الذي اهتزت به مراكش ولا نفلن الجزائر إلا متربصة حتى نستوثق أن هبة مراكش هذه المرة مستمرة ، وأن المعركة قد استوفت أسباب الجد والمخيلة ...

والأمانة التي في أعناق المسلمين في الأفطار الأخرى نحو قضية شمال إفريقيا كبيرة ... وأولها أن يقاطعوا فرنسا مقاطعة عملية ، ومقاطعة فرنسا عملية سهلة إذا قيست بغيرها ... بل إن البدء بها من ( التكنيك ) المحكم للنجاح في غيرها ؛ ونحن لا نفهم أن تحتج الحكومات العربية على سياسة فرنسا وهي ترعى معاهدها وإغتها وثقافتها وتببيع في أهم شوارعها أحدث أزيائها وأجبر وأرداتها ... ولا نفهم أن نقرأ في صحفنا اليومية بالخط العريض « كذا قتل وكذا جريح في تونس » وتحت ذلك في الصفحات الأولى إعلانات عن شركة ( إيرفرانس ) و « سوار دي باري » ...

ترى هل تستطيع مصر في « عهدنا الجديد » أن تضرب مثلاً جديداً في أسلوب الكفاح العملي ؟

### فلسطين

علم الناس آخر فصل من المسرحية السياسية لقضية فلسطين ، ولا نظنه الأخير ، فإن دور الأبله المضحك الذي يمثل ساستنا العرب في هذه الرواية لا تنتهي نكاته وفنونه ... وقد أجبنا السكامة التي كتبها كاتب مصري معروف في إحدى الصحف المصرية الأسبوعية تحت عنوان « إسرائيل تلطم الأمم المتحدة والأمم المتحدة تلطم الدول العربية » ... وقال فيها « حكومات الدول العربية وساسة وزعماء العرب يتمسكون بهيئة الأمم ... لا لأنهم يحسنون الظن حقاً وصدقاً بهيئة الأمم ،

أو يؤمنون حقاً وصدقا بعدل وإنصاف هيئة الأمم ... كلا وإنما لأن هيئة الأمم هي الستار الذي يخفون وراءه فشلهم في معالجة قضايا العرب ، وترددهم أو إحتجاجهم عن العمل المجدي ، العمل الحازم الحاسم ، هذا الإحتجاج الذي سببه تفرق الكلمة وتغليب المصالح الذاتية على مصلحة المجموع ... وإعلاء كلمة المال والذهب والدولار على نداء الكرامة والحرية والاستقلال ... ثم هيئة الأمم هي بعد هذا وذاك العنصر الذي تقدم به الحكومات العربية إلى شعوبها كلما طالبتها هذه الشعوب بالعمل ... تقول هذه الحكومات لشعوبها العربية ... « وما الحيلة ! لقد ذهبنا إلى هيئة الأمم وشكونا وخطبنا وقنا بالدعاية هنا وهناك ... واشتركنا في لجنة كذا وفي لجنة كذا وفي لجنة كيت ، وقدمننا الأدلة على كذا وكذا ... ولكن هيئة الأمم لم تنصفنا ! ... كأنما كانوا ينتظرون حقاً وصدقا أن تنصفهم هيئة الأمم وهم الذين سبق لهم أن جربوا لإنصاف هيئة الأمم وعرفوا من التجارب السابقة ألا عدل هناك وأن الحق ضائع إن لم يكن له سند من القوة ... قوة السلاح لا قوة الخطب ولا قوة القانون ... » .

هذا حق ، وقد قلناه نحن من قبل ، ولكننا لا نظن أن الذي حدث كان لطمة من لإسرائيل للأمم المتحدة ، وإنما هو اتفاق قديم عميت عنه أعين المسلمين بعد أن عميت قلوب ساستهم ... قلنا في العدد التاسع من ( المسلمون ) : « لم يمض على معركة فلسطين إلا ثلاث سنين ، أعنى المعركة الهزيلة التي انتهت بمؤامرة الهدنة الأولى ثم الثانية ... وهي — على هزلها — كانت مسرحا تكشف فيه فضائح مخزية ، وأسفر فيه اليهود عن حقيقتهم الفادحة ذات الخالب والأنياب ، ورأيتهم رأى العين حقائق المصطلحات الكاذبة « مجلس الأمن » و « الدول الكبرى » و « الضمير العالمي » ، وقرأنا بأحرف بارزة من ضحايا عزيزة وخسائر فادحة وآمال خائبة تفسير قول الله عز وجل « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » ، ولم يمض على كل ذلك إلا ثلاث سنين فما بال المسلمين كأنهم قد نسوا كل شيء كان ! وما بالهم لا يزال ساستهم لا يجيدون إلا التسول في ردهات هيئة الأمم وفي مكاتب السفراء والمفوضين ، وإلا الإحتجاج ... ثم الإحتجاج بشدة ، ثم الإحتجاج شديد اللهجة جداً ، ثم ... لا ثم بعد هذا إلا الميوعة والتفريط وضياع الوقت والكرامة والبقية الباقية من فلسطين ! !

قلنا هذا ولا نزال نقوله ، وستظل الأيام تكشف طوايا هذا الاتفاق القديم حتى يفيق المسلمون ، ويصدقوا بكل دليل مخز صير قول ربهم « بعضهم أولياء بعض » .  
لم يكن الذي يريده المسلمون من الحلفاء بعد الحرب الأخيرة أن يقفوا في صفهم ضد اليهود ... لا ، وإن كان ذلك في منطق سياسة العصر حقاً طبيعياً ورداً واجباً لتجليل العرب الذين وقفوا إلى جانب الحلفاء وكانوا سقالة الميزان في كفتهم بعد أن دوختهم بطولة المحور ! لم يطلب العرب رغم ذلك من الحلفاء أن يقفوا إلى جانبهم ضد اليهود ... ولم يكونوا بحاجة إلى ذلك فاليهود كما يعلمون هم ليسوا أكثر من العرب عدداً ، ولا شجاعة ، والفارق بين العرب واليهود في ذلك كبير ... وإنما المشكلة مشكلة « السلاح » ، ولم نكن نريد من ( الإنجليز مثلاً ) إلا أن يقفوا على الجهاد ويتركوا نستورد الأسلحة من حيث نشاء ... لا أن يفتحوا البحر لليهود تتدفق عليهم الأسلحة من كل مكان ويحجزوا على العرب بالمماهات الظلمة والاحتلال البغيض ... ويستعملوا هذا الحجر الظالم في إحراج ساسة العرب الضعفاء باسم النصيحة تارة وباسم مصلحة العرب تارة وبالإلزام الأمر ... لماذا نستغرب إذاً أن يقف الإنجليز موقفهم الأخير من قرار هيئة الأمم بالمفاوضة بين العرب وإسرائيل دون تقييد بقرارات الهيئة السابقة ؟ ما هو الجديد المستغرب في موقف الإنجليز ... وما معنى الإحتجاج ؟



## أخبار متفرقة

● أعلن الرئيس اللواء محمد نجيب إلغاء الدستور المصري ، وقد صرح فضيلة الأستاذ حسن المصبي المرشد العام للاخوان المسلمين أنه يرى أن تستفتى الأمة أولاً في دستورهما الجديد ؛ وهل هي تختار شرائع الإسلام أم شرائع الغرب ، فإذا رأت الأمة أن تحكم بالإسلام ، كان على اللجنة التي تشكل لصياغة الدستور أن تنفذ ذلك ، وأن تلتزم به ، ولم تعد مطالبتها بالتزام الشريعة استجداء لا يليق بالإسلام ولا بمصر المسلمة ، وإذا رأت الأمة أن تحكم بشرائع الغرب ، وهو رأى لا يمكن أن يقول به مسلم ، عرفنا أنفسنا وعلنا الأمة أمر ربها وما يجب عليها .

● أعلنت اللجنة الأمريكية لمساعدة اليهود أنه من الضروري تخصيص مبلغ ٢٠ مليون ونصف مليون دولار لمساعدة اليهود في أوروبا والبلاد الإسلامية وإسرائيل خلال العام القادم ... وهذا المبلغ يزيد بمقدار مليوني دولار عن العام الماضي ، وسيجمع المبلغ من المساعدات الخاصة في أمريكا .

● اعتقلت السلطات الأسبانية أحد اليهود الأسبان وكان يستمعين بالبرامج الموسيقية التي تذاع عن طريق الراديو في الشرق الأوسط لنقل رسائل إلى المنظمات الشيوعية في إسرائيل التي تقوم بدورها بنقل هذه الرسائل إلى مصر وباقي الدول العربية .

● يدرس أولو الشأن في لبنان اقتراحاً للأمانة العامة للجامعة العربية تهيب فيه بأن تعمد من التعامل الاقتصادي مع قبرص باعتبارها قاعدة للتهريب إلى إسرائيل ريثما تتخذ الجامعة العربية التدابير اللازمة مع حكومة قبرص .

● عقدت إسرائيل اتفاقاً جديداً مع إدارة المونة الفنية التابعة للأمم المتحدة ، وسيذهب إلى إسرائيل ٢٦ خبيراً من خبراء الأمم المتحدة لتقديم المشورة في صناعات النسيج والبتروكيميا والمعادن خلال السنتين القادمتين .

● دعا سماحة السيد آية الله كاشاني في بيان أذاعه على الشعب الإيراني — إلى وجوب وقوف الإيرانيين إلى جوار إخوانهم أبناء العراق في كفاحهم الرهيب ضد الدكتاتورية والاستعمار وقد أحدث هذا البيان قلقاً كبيراً عند حكومة العراق وفي الدوائر البريطانية . وقد بثت حكومة العراق بمذكرة احتجاج إلى الحكومة الإيرانية على النشاط الذي يبذله الزعيم الديني آية الله كاشاني رئيس مجلس النواب الإيراني

● أذاع الحزب الألماني الجديد «حزب جميع الألمان» في فرانكفورت نشرة أورد فيها برنامجاً سياسياً وهو يهدف إلى تكوين ألمانيا متحدة لا تتحالف مع أي من المعسكرين السوفييتي أو الغربي .

● يعيش أهالي جنوب الجزائر في جوارح الأتراك البوليسيين الشنيع لما تقوم به قوات الجندرية والحرس المتحرك من الوسائل العنيفة في استنزاف الأهالي . ولا تتحرج عن القيام بعمليات التفتيش والإعتقالات بدون أي مبرر .

● أقسم ما يزيد على عشرة آلاف محارب في كينيا «بمين الموت» على مواصلة الجهاد والتضحية حتى يخرج البيض من بلادهم ، ولم يعد هؤلاء يقيمون في مدنتهم وقراهم بل أصبحوا يقيمون في الجبال للقيام بعمليات حرب العصابات لإفلاق راحة المستعمر الدخيل حتى يخرج من بلادهم .

● قالت (الأهرام) إن القوة الحقيقية في إيران موزعة بين الجناح الوطني «الرجعي» وبين جماعة «الإصلاحيين» الذين يضمون عناصر من الطبقة المتوسطة تؤيد نوعاً من «الماركسية» الاقتصادية دون الميل إلى الاتصال مباشرة بموسكو ... ونشرت (الأهرام) كذلك خبراً عن «الحركة الرجعية» في تركيا ... ترى ما الذي تعنيه الصحيفة بالرجعية ؟!



- بلغت الرسوم المستحقة لمصلحة الجمارك المصرية عن خدمات أدتها للقوات البريطانية في سنوات الحرب العالمية الأخيرة وعلى البضائع التي وصلت إلى القوات البريطانية في القناة منذ ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ حتى الآن نحو ٦٠ مليوناً من الجنيهات .
- خصص العهد الجديد قطاراً باسم اللاجئين الفلسطينيين يمر بجميع المحطوط ويقف في جميع المحطات بالمدن والقرى لجمع ما يقدم إلى المسئولين من إعانات ومساعدات لإخوانهم أبناء فلسطين في محنتهم القاسية كما خصص قطار آخر لجمع مواد البناء على اختلاف أنواعها ليقوم اللاجئين ببناء بيوتهم بأنفسهم .
- نتيجة لفظائع الإنكسار في كينيا بدأ بعض أهاليها يرتدون من الاعتقاد في طب الرجل الأبيض ولجأوا إلى العلاج بطريقتهم الخاصة القديمة حيث يعالج الطبيب مريضه بلسم الأيدي وقراءة الأدعية وغيرها من الطقوس . .
- ابتداء سبيل الحجاج المسيحيين يفد على كاتدرائية جوا القديمة لتقيل قدمي القديس فرانسيس أ كسافيه الذي حنط جثمانه منذ أربعمائة عام وقد أخرج الجثمان من تابوته للمرة الأخيرة وعرض في نيش من الزجاج والفضة ووقف ( الحجاج ) الذين جاءوا لتقيل قدميه في صف بلغ طوله ريع الميل ومن المتوقع أن يبلغ عدد هؤلاء الوافدين من مختلف أنحاء العالم لهذا الغرض حوالي المليون .
- غادر بغداد بالقطار إلى تركيا جماعة من ١٣٥ من مسلمى القوزاق البدو وفدوا من التركستان الصينية وقد كانوا يتجولون مدة أعوام منذ أن شردهم الثورة الشيوعية في الصين .
- قررت اللجنة الإدارية للأمم المتحدة اعتبار اللغة الأسبانية لغة رابعة رسمية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي . وتخصيص ( ٣٥٠ ) ألف دولار لهذا الغرض في ميزانية ١٩٥٣ .
- اعتقلت السلطات الفرنسية في مراكش جميع زعماء الحزب الوطني المراكشي وعدد كبير من أعضائه ولا تزال الاعتداءات متوالية من القوات الفرنسية الدخيلة على الشعب المراكشي الأعزل
- دعا المؤتمر الإسلامي العالمي إلى مقاطعة البضائع الفرنسية احتجاجاً على أعمال الإرهاب والقمع التي تقوم بها السلطات الفرنسية في شمال أفريقيا وقال إنه سيسمى لدى الدول الإسلامية لتنفيذ هذه المقاطعة عملياً .
- عقد مجلس النواب الأردني جلسته اتخذ فيها قراراً باستنكار موقف مندوب بريطانيا في الأمم المتحدة من قضية فلسطين واللاجئين العرب وأرسل برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية باسم جميع النواب الأردنيين على ذلك الموقف الذي يتطوى على الاستمثار بالعدالة وحقوق الإنسان .
- لا يزال سماحة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جامعة العلماء بالجزائر يوالى نشاطه الميمون في شرح حقائق الإسلام وقضايا المسلمين وهو موضع الحفاوة والتكريم من سائر الهيئات الإسلامية في مصر .
- وصل إلى القاهرة سماحة الأستاذ السيد محي الدين القليبي الزعيم التونسي بعد أن قام بجولة مباركة في الأقطار العربية اتصل خلالها بالهيئات والأحزاب وألقى محاضرات عامة في شئون المسلمين وقضية تونس ، جزاء الله خيراً ، وأهلاً به وسهلاً . .
- لبى رئيس تحرير « المسلمون » دعوة كليات جامعات القاهرة وإبراهيم والإسكندرية للتحديث في أحفال ذكرى المولد النبوي ، وقد كانت كلها جميلة حافلة ومظهراً راتماً للروح الإسلامية الفتية في الشباب الجامعي .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات هذا العدد

|                                    |        |  |     |
|------------------------------------|--------|--|-----|
| هذا القرآن                         | ... .. | لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي                 | ١   |
| قصص القرآن : آدم عليه السلام       | ... .. | للأستاذ البهي الحولي                       | ٤   |
| السنة .. ..                        | ... .. | لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي         | ١٣  |
| من علوم السنة .. ..                | ... .. | لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا | ١٧  |
| الإنسانية في الشريعة الإسلامية     | ... .. | لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة         | ٢١  |
| الله في القرآن                     | ... .. | للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى             | ٢٧  |
| المستقبل للإسلام                   | ... .. | للأستاذ سيد قطب                            | ٣٢  |
| صفحة حية من تاريخ الحركة الإسلامية | ... .. | للامام الشهيد حسن البنا                    | ٣٥  |
| من أعظم حاجات هذه الأمة .. ..      | ... .. | لسماحة السيد أبي الحسن الندوي              | ٤١  |
| ميراث من المشكلات                  | ... .. | لأبي نعمان المهاجر                         | ٤٦  |
| وحدة الدين والحياة                 | ... .. | للأستاذ الدكتور اشتياق حسين قرشي           | ٤٩  |
| سمر العائدة والربا                 | ... .. | للأستاذ محمود أبو السعود                   | ٥٥  |
| خاطرة : ينبوع غزير                 | ... .. | للتحرير                                    | ٦٢  |
| اثورة الدستورية الأولى             | ... .. | للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس     | ٦٣  |
| ندوتنا .. ..                       | ... .. | للتحرير                                    | ٦٩  |
| سبعات فكر                          | ... .. | للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام            | ٧٤  |
| النظام الرأسمالي الجديد            | ... .. | للأستاذ أبي الأعلى المودودي                | ٧٦  |
| الطب عند القدماء                   | ... .. | للأمير لاي الدكتور أحمد الناقة             | ٨٢  |
| مع العارفين : أحمد بن حنبل         | ... .. | ... ..                                     | ٨٥  |
| الأرض ( شعر )                      | ... .. | للأستاذ محمود حسن إسماعيل                  | ٩١  |
| من خماسيات الأمير «شعر»            | ... .. | للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري             | ٩٤  |
| شيء عن ألبانيا المسلمة المنكوبة    | ... .. | للسيد وهي سليمان الألباني                  | ٩٥  |
| في أفق العالم الإسلامي             | ... .. | للتحرير                                    | ٩٨  |
| الفهرس                             | ... .. | ... ..                                     | ١٠٤ |